AL-SHIRAZI

KAYFA INTASHARA AL-ISLAM?

Princeton University Library
32101 074334663

2274
.87745
.3513

2274.87745.3513
al-Shīrāzī
Kayfa intashara al-Islam?

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

محمد المهدي الحسيني الشيرازي

كيف انتشر الإسلام؟

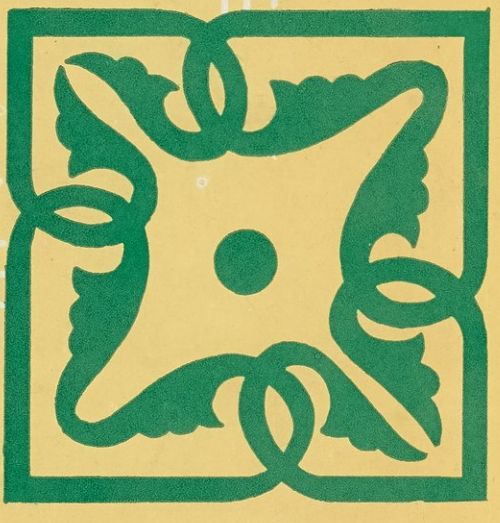

منشورات
هيئة شباب التبليغ
كربلاء المقدسة - العراق

كيف انتشر الاسلام ؟

al-Shīrāzī, Muḥammad al-Mahdī

محمد المهدي الحسيني الشيرازي

Kayfa intashara al-Islām

كيف انتشر الإسلام؟

قامت بطبعه

هيئة شباب التبليغ في كربلاء المقدسة

2274
·87745
·3513

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين إلى قيام يوم الدين

... الاسلام اقوى من ان يؤثر في جذوره الضاربة في الأرض وفروعها الممتدة في السماء ! اي مؤثر مهما كان المؤثر قوياً !! وهل يمكن ان يؤثر في ارادة الله شيء ؟ فلقد قال سبحانه « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » .

اما المؤثرات فلا تعدو ان تكون جزئية ووقتيه، ثم يزول المؤثر الضعيف ، ويبقى الاسلام القوي .. وقد دلّ تاريخ الاسلام الطويل المشرق ، على صحة ما قلناه ، فلقد اتت عليه عوامل ومؤثرات تكاد السماوات يتفطرن منه،وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، لولا قوة الاسلام وعظمته وعناية الله تعالى به .

ولذا نرى اليوم وبعد اربعة عشر قرناً طراوة الاسلام

كيومٍ نزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا قرآنه لم يُغيَّر ولم يُبدَّل ، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله محفوظه في صحاح الكتب ، وهذه احاديث الأئمة الطاهرين ملئت ما بين الخافقين ، وهؤلاء المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يواظبون على الاسلام ويبذلون في سبيله كل غالٍ ورخيص .

وما يشاهد من بعض عوامل الهدم من الألحاد واليهودية والنصرانية وما اليها ليست امرٌ من اعاصير التتر والمغولة وعواصف القرامطة وصاحب الزنج

« فقد ذهب الحمار بأم عمرٍ فلا رجعت ولا رجع الحمار »

لكن – من الحق ان نقول : أن تبعثراً مدهشاً وقع بين المسلمين، وان تفككاً عجيباً وقع في بلاد الاسلام وان معاول هدامة اخذت في ضرب الأسلام من منافقي الداخل وكفار الخارج ، حتى ليكاد غير المطلع على قوة الاسلام ، يظن ان الاسلام قد آنت رحلته ، وان بناءه المشمخر قد اشرف على الأنهيار والفناء ، وهذا مما يؤسف له أشد الأسف ، فقطع من بلاد الاسلام خضعت للكفار ، وأناس مسلمون في ارجاء البلاد انقطعت الصلات بين بعضهم والبعض ، واخذت المحرمات العلنية تجتاح البلاد في هزات عنيفة ، وافتتن قسمٌ من المسلمين حتى تركوا دينهم جهلاً او خوفاً او طمعاً في زخرف الدنيا .. إلى غيرها من المآسي والويلات .

وهذا ما يحفّز المسلمين الواعين لمضاعفة العمل بكلّ جدٍ واهتمام ويقظةٍ وحَذَر ، حتى يأذن الله سبحانه وتعالى بنهضة إسلامية جديدة ، كما نهض الاسلام بعد المغول ، والقرامطة ، ومن اليهما ، بصدق نهضة المسلمين المجاهدين وما ذلك على الله بعزيز .

وانني شخصياً – ويشاركني كثير غيري – ارجو ان يكون ذلك ، حتى قبل قيـــام الامام المهدي المنتظر الذي وردت الروايات المتواترة عن الرسول والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وفي كتب جميع علماء المسلمين ، حوله .. اما كون الاسلام هو المسيطر على البلاد والآخذ بالزمام ، حـين ظهور الامـام ، فذلك عقيدة نعتقدها فقد « وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولَيمكننْ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً » .

وأرى من اللازم على المفكرين من المسلمين – مقدمة لنهضة اسلامية جديدة – ان يؤلفوا لجنة قوية مزودة بالمال وسائر المؤهلات ، للسياحة في البلاد ، للتطلع على احوال المسلمين ، وجمع شتاتهم ، وتأليف تاريخهم مزودة بالخرائـــط والصور والمزايا .

ومثل هذا وان كان يحتاج الى مـــال ورجال ، ووقت

وجهد ، الا انه خطوة كبيرة للنهضة ، واظن ان مثل هذا التاريخ لا يمكن تدوينه في اقل من الف كتاب ، كل كتاب يحتوي على خمسمائة صفحة ، وهـــذا مجهود كبير ، لكن للمفكرين الصامدين المستعينين بالله امر مقدور « ولا يلقاها الا الذين صبروا ، ولا يلقاها الا ذو حظٍ عظيم » .

اما هذا الكتاب « كيف انتشر الاسلام ؟ » فهو محاولة بسيطة بدائية ، جدّ متواضعة لالقاء الضوء على بعض تاريـخ انتشار الاسلام ، بقدر افهام طلاب السادس الابتدائية ، من مدارس حفاظ القرآن الحكيم، في كربلاء المقدسة . حثّني على كتابته افراد الهيئة التعليمية لتلك المدارس مع قلة اطلاعي في هذا الحقل الاسلامي المهم.. وكل أملي ان يكون هذا الكتاب المتواضع – بدوره – محفّزاً ، لعلماء مطلعين على ان يكتبوا تاريخاً مسهباً مفصلاً ، ليكون ذلك – بالاضافة إلى كونـــه مرشداً لمن يطلب التعرف على احوال الاسلام في هذا الحقل – نواة للكتاب الكبير الذي نأمله – وما ذلك على الله بعزيز . والله سبحانه اسأل العصمة ، والثواب ، والنفع بهذا الكتاب، فانه تعالى لما يشاء قدير .

كربلاء المقدسة — محمد

بدء الاسلام

لقد جاء رسول الإسلام محمد صلى الله عليـــه وآله ، إلى البشر أجمع بدين جديد ، من قبل الله سبحانه وتعالى لانقـاذ البشر من براثن الجهل والشقاء ، وهدايتهم إلى الحق والصراط المستقيم .

وبدأ حياته الكريمة التبشيرية في مكة المكرمه ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، حيث اخـذ نور الاسلام يسطع ، ويعلو شيئاً فشيئاً ، حتى دخلت الجزيرة العربية ، تحت لوائـــه ، فاصبحت بذلك أمة واحدة وخير أمـــةٍ اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

ونزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في أواخر ايام حياتـه الحافلة بالمتاعب والانتصارات سورة النصر « بسم الله الرحمن الرحيم ، إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتح، ورأيتَ الناسَ يَدخُلونَ في دينِ اللهِ أفواجَـــا ، فَسَبِّح بِحمدِ رَبِّكَ واستَغفِرهُ إنَّهُ كانَ توّابا » وانتهت مهمة الرسول صلى الله

عليه وآله، بنصب الخليفة لنفسه ، في غدير خم ، حيث عيّن بأمر الله تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين وخليفة لنفسه من بعده وعين بعده الأئمة الهادين الأحد عشر واحداً بعد واحد .

ثم مرض الرسول صلى الله عليه وآله ، والتحق بالرفيق الأعلى ، ودفن في حجرته المجاورة لمسجده في المدينةِ المنوَّرة حيث مرقده الآن .

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وآله أعظم الخطط الانسانية ، لحلِّ مشاكل العالم بسلام ، فقد كان يتعرض لمن ابتلوا بخرافةٍ في العقيدة أو بظلم للناس فيدعوهم اولاً الى الايمان ، فإن أبوا وأعطوا الجزية في مقابل حماية الاسلام لهم تركهم وعقيدتهم – تحت عنوان شرائطٍ ، فيما كانوا من أهل الكتاب – والا فالمحاربة .

وقد جمعت هذه الآية الكريمة سبب الحرب الاسلامية بقوله سبحانه « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين » فالقتال اما لسبيل الله الذي هو سبيل كل خير في مقابل كل شيء ، واما لخلاص المستضعفين من براثن المستغلين والظالمين .

وقد تعدى الروم على حدود بلاد الرسول صلى الله عليه وآله في حياته ، مما حفزّه على تعبئةِ جيشٍ ، تأديبي ، بقيادة أسامه ، لكن الرسول صلى الله عليه وآله فارق الحياة والجيش

لم يبرح مكانه بعد . وبعد الرسول صلى الله عليه وآله أخذ المسلمون مشاعل الهداية إلى اطراف الجزيرة ، واول الحركات كانت حركة اسامة بجيشه نحو الوجهة التي وجهها الرسول صلى الله عليه وآله .

وقد كانت البلاد تخضع امام زحف الاسلام ، بكل يُسر وسهولة ، مما لم يشاهد مثلها العالم قبل الاسلام ولا بعده إلى هذا اليوم،وكانت اسبق البلاد للخضوع سوريا ومصر والعراق وشمال افريقيا وفارس (ايران)، ثم لم ينقض قرن (مائة عام) على وفات الرسول صلى الله عليه وآله حتى وصل المسلمون شرقاً إلى ان عبروا نهر السند وغرباً إلى اسبانيا (اندلس) .

فقد سادوا على اعظم امبراطورية في الأرض ذلك اليوم .. وحكموا باسم الله وباسم الأسلام على الامبراطورية الشرقية (ايران) حيث خضعت لهم بالتمام ، كما حكموا على جزءٍ كبير من الأمبراطورية الغربية (الروم) ، ولولا اشتغال بعض أمراء المسلمين ، بامور داخلية، وانحرافهم عن منهاج الأسلام، لم يبق شبر في الأرض الا ارتفعت على منابرها شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله كما انه لو كان المسلمون يتبعون الأمام امير المؤمنين» كما عين الرسول صلى الله عليه وآله لم يبق في الأرض من يدين بغير الاسلام « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » .

ومع انه بدأ الضعف في الدولة الاسلامية ، وبالأخص حين غزا المغول البلاد وأغرقوا الحضارة الاسلامية في بحار من الدمـــاء .. وزحف النصارى على (اسبانيا) حيث طردوا المسلمين منهـا وأحرقوا عشرات الآلاف منهم بحربة الاسلام لكن قوة الاسلام أخذت تزحف في جوانب أُخر من الأرض، فقد غزا الاسلام جزيرة (سومطره) وأحرز تقدماً في الجزائر الواقعة في بلاد (الملايو) .

بل فوق ذلك نرى ان الغزاة من المغول الذين أرادوا اجتثاث اصول الاسلام،ومحوه من الوجود لم يمض زمان طويل إلا وقد دخلوا في سبيل الاسلام ، وصاروا من اعظم المدافعين له ، والناشرين لحقائقه ، وكذلك الحال في اتراك السلاجقة ، ويرجع الفضل في ذلك الى اهتمام دعاة المسلمين الذين ما فتئوا يحملون لواء الاسلام حتى في أحلك الأيام ولم يكونوا ييأسوا حتى من ارشاد أبعد الناس عن الاسلام .

وقد نرى المثال البارز لهذه الحقيقة علامة البشر الشيخ نصير الدين الطوسي رحمه الله،فأنه لما علم ان المغول كيف يريدون القضاء على الاسلام ، رأى من الواجب الاسلامي عليه ان ينخرط في سلك الحكومة ويماشي في الظاهر السلطة ، بغية الاحتفاظ بما يقدر منه على الاسلام ، وقد وضع خطة من ادهش الخطط لهذه الغاية النبيلة . فقد قال للملك الغازي ان معرفة مستقبل الامور منوطة بالنجوم ، وعرفانها ، فاذا كان الملك يرغب في

معرفة المستقبل ليضمن لنفسه النصر ولاعدائه الهزيمة ، فمن اللازم عليه ان يسمح لنا في اعداد العدة لذلك ، وقبل الملك الاقتراح بكل لهفة ، واستفسر الشيخ عن العدة التي يحتاج اليها علم النجوم ؟ قال الشيخ : ان العدة هي (المال) و (العلماء) و (الكتب) فمن اللازم ان تجعلوا اختيار الأوقاف في يدي ، لكي اوفّر المال اللازم .. وكذلك تهبوني (العلماء) حتى استعين بهم في هذه المهمة .. اما الكتب فهي متوفرة في البلاد ، وجيشكم يحرقونها ويفنونها فمن اللازم الايعاز اليهم بجعل الاختيار في ايدينا لانتقاء ما نريد منها لهذه المهمة .

ونفذ الملك أمر الشيخ ، وبذلك تمكن من التحفظ على (علماء المسلمين) الذين كانوا – لولا تدبير الشيخ – طعمة سيوف المغول ، وعلى (الكتب) التي كانت لولا تدبير طعمة الحرائق والفناء وعلى (الأوقاف) التي لولا تدبيره كانت لقمة سائغة في أفواه الملك وحاشيته .

وقد جمع المحقق الطوسي حول نفسه أكبر قدرٍ من ذلك، من غير فرقٍ بين علماء السنّة والشيعة – بالرغم من الهجمات المضللة التي شنها جهال المتعصبين على الشيخ : بأنه كان طائفياً، وانه كان من معاوني المغول في الهدم .

وقد حمل دعاة المسلمين مشاعل الهداية إلى الصين وجزائر

الهند الشرقية وافريقيا الوسطى في حين انه لم تكن اية قوة تسندهم ، بل كثيراً ما كانت القوى ضدهم ، وإنما حَمَلة الدعوة كانوا رجال دين أو تجاراً ، فقد كانوا يرون ان من الواجب عليهم – كوجوب الصلاة والصيام – ان يدعو النـــاس إلى الاسلام ، حيثما نزلوا او ارتحلوا .

ولذا نرى اليوم امتداد الاسلام من مراكش الى زنكبار ، ومن سيراليون إلى سيبريا والصين ومن البوسنه الى غينيا الجديدة ، بل نرى أعداداً كبيرة أو صغيرة من المسلمين ، في بولنـــدا ولتوانيا ، وهولندا ، وايطاليا ، وفرنسا ، وانكلترا ، واميركا بقسميها الشمالي والجنوبي ، واليابان ، واستراليا والمانيا .. من أصل مسلم نازح أو من مسلم دخل في الاسلام بمجرد رغبته ، تاركاً دينه القديم وراء ظهره .

ولولا انهزام عبد الرحمن في فرنسا ، ونضوب معين الدعوة في الأتراك العثمانيين ، وانهيار السلطة الصفوية ثم القارجارية في أواخر أيام حياتها ، وتفكك السلطة الأسلامية في اسبانيا لكان علم الاسلام يرفرف – اليوم – على جميع المعمورة او على اكثرها ..

وما نراه اليوم من الضعف والانحلال ، ليس مـــا يوجب اليأس ، فأنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، بل ان للأمم رقدة كما ان للافراد رقدة وبعـد كل نوم لا بد من يقظة ، وما ذلك على الله بعزيز .

« المسيحيون في آسيا يخضعون للاسلام »

لقد سادت المسيحيـــة قرونا في الطرف الغربي للجزيرة، والطرف الشرقي منها على السواء ، لكن المسيحية لمـــا كانت عقيدة مبهمة وطقوساً لا تملأ الفراغ النفسي العقائدي ، كان لتجلي الاسلام اكبر الأثر في اعتناق الناس له، فمع ان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يجبر حتى المشركين على الاسلام لمصالح، ويتركهم وشأنهم ، كيما يجد الأسلام سبيلا للنفوذ إلى قلوبهم .

كما نرى ذلـك في حروبه صلى الله عليه وآله فأنه لم يجبر الأسراء في احد ، ولا في صفين ، ولا كفار مكة ، ولا غيرهم من الكفار الذين ظفر بهم، على الاسلام .. كان الاسلام يزحف نحو الأمام ، حينما لم تكن سلطة تحول دون اشراقه .

وهذا هو سر ما نرى اعتناق قبيلة (بني غسان) الذين بسطوا نفوذهم على الصحراء الممتـــدة شرقي فلسطين وجنوبي سورية للاسلام بعد غزوة (اسامه) لتلك النقاط ، حين سار الجيش الذي اعدّه الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاتـــه

وانتصر هناك في حملة تأديبية ، حيث تعدى الروم على حدود الجزيرة وهتك حرمة الاسلام .

وكذلك بعد مـــا فتحت الشام انضمت اكثر القبائل المسيحية البدوية الى الاسلام بمجرد رغبتها في الدين الجديد لما لمسوا فيه من البساطة والحقيقة والجمال .

ومثل هذه الحالة وقعت بالنسبـــة الى القبائل التي كانت تقطن ضفاف نهر الفرات ، في العراق ، فانه لما انهزم الجيش الفارسي الذي كان بقيادة رستم أمام جيش الاسلام ، جاءت القبـــائل المسيحية الى قائد المسلمين يعرضون عليه الاسلام ، قائلين : ان القبـائل الذين سبقونا الى الاسلام ، كانوا أصوب منا رأياً ، فما يمنعنا من الدين الجديد ، وقـــد فكّ الحصار بقتل رستم .

بل ان(رستم) كان بنفسه يرى انهم لا يتمكنون المقاومة أمام جيش الاسلام ، بعد ان لمس فيهم الحقيقة وعرف في دينهم الصواب ، في مقابلة اجراها مع بعض المسلمين .

ولقد كان تسامح الاسلام مع المسيحية – باعتبارها ديانة ذات كتاب ورسول – اكبر الاثر في اعتنـــاق كثير من المسيحيين للاسلام ، بدون اعمال اية قوة ، ومن أكبر الشواهد لذلك وجود الكثرة الكثيرة من المسيحيين بين المسلمين وفي بلادهم من أول يوم الى هذا اليوم بالرغم من قـــوة الاسلام

الهائلة في أكثر أيامه .

بل لقـــد كان المسيحيون يرون في الاسلام مخلصاً لهم ، وينتظرون المسلمين بفارغ الصبر حيث كانوا في اضطهادٍ شديد من حكوماتهم ، او اضطهاد في بعض الطوائف لبعض .

فقد كتب ميخائيل الاكبر بطريق انطاكية اليعقوبي — بعد ان سرد اضطهادات هرقل — : « وهذا هو السبب في أن إله الانتقام الذي تفرد بالقوة والجبروت ، والذي يديل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا الى القوة فنهبوا كنائسنـــا وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمةٍ ولا شفقة ، أرسل ابنـــاء اسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم ، وفي الحق اننا اذا كنا قد تحملنـــا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منـــا واعطائها لاهل خليقدونيه ، فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم ولما أسلمت المدن للعرب (المسلمين) خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتهـــا ، (وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حران) ومع ذلك لم يكن كسباً هينـــاً تتخلص من قسوة الروم واذاهم وخنقهم ، وتحمسهم العنيف ضدنا ، وان نجد انفسنا في أمن وسلام .

ولما عسكر جيش المسلمين وادي الأردن، كتب المسيحيون

في هـــذه البلاد الى المسلمين قائلين : « يا معشر المسلمين انتم أحبُّ الينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنـا وأرأف بنا ، واكثر كفاً عن ظلمنا ، واحسن ولاية علينـــا ولكنهم غلبونا على امرنا وعلى منازلنا » .

وغلق أهل حمص ابواب مدينتهم دون جيش هرقل ، ثم ابلغوا المسلمين الذين جاءوا لاستنقاذهم : بان ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الاغريق وتعسفهم . وكانت دمشق معرضة للسلب والنهب دون رحمة أو هوادة مما انهك الأهلين وكذا حمص ومنبج، وبيت المقدس، وغيرها من بلاد الشام الكبرى . حتى اذا جاء المسلمون عقدوا جميعاً مع المسلمين الصلح ودخلوا في حوزة الإسلام ، طاردين ابناء دينهم المسيحي ، لمـا رأوا منهم من العسف والارهاق .

بل انعكس الأمر فقد كان المسيحيون في هـــذه البلاد يخافون من سطوة المسلمين ، بادىء ذي بدء ، حيث تحالفت مصالح الامبراطور والكنيسة، في تصوير المسلمين أمة متوحشة متبربرة يقتلون وينهبون ، ويدمرون ، فلما ان علموا بواقـع المسلمين ، بعد بعض المعاهدات ، وبعد سقوط بعض البلاد في ايديهم ، اخذوا يرجونهم في تخليصهم من براثن الكنيسة والأمبراطور ، فلمـــا جاء المسلمون الى بلادهم ورأوا عدلهم وشفقتهم وانسانيتهم أخذوا في التحمس لهم والدفـــاع عن كيانهم ، فصار الدُّ الأعداء من أحمس الأصدقاء .

فقد كان النزاع الكنيسي من ناحية ، وعسف الأمبراطور وكثرة ضريبته وتحكمه ، اودى بكل المسيحيين حتى اصبح شبحاً لا يملك حولاً ولا طولاً ولا دفاعاً ولا حرية . وذلك بالعكس من المسلمين الذين :

١ – جعلوا اساس تعاملهم للناس ، (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (والناس اما اخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) كما يقول الرسول الأعظم .

٢ – وكانت معاشرتهم (خذ العفو وأمر بالمعروف ، واعرض عن الجاهلين ،) واحسن الى محسنهم وتجاوز عن مسيئهم كما يقول الامام امير المؤمنين .

٣ – ثم انه لا ضريبة بالنسبة إلى المسلم إلا (المحسن) و (الزكوة) ولا بالنسبة إلى غير المسلم إلاّ (الجزية) العادلة في مقابل حماية الدولة الاسلامية .

٤ – والعدل الذي كان الطابع العام للمسلمين ، فلا تعدي ولا جريمة (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) .

٥ – وعمارة الارض والتشجيع على التجارة والصناعة ، واطلاق جميع الحريات ، إلى سائر المحاسن التي لم تكن حلماً للبشر وإذا به يراها رؤية العين .

ثم انه لم يكن المال الذي يدفعه المسيحي أو اليهودي

للمسلمين ، بعنوان الجزية ضريبة اعتباطيـــة ، بل كانت في مقابل حماية المسلمين لهم ، فهم مواطنون عليهم الضريبـــة ، ولهم الحماية، فحق في مقابل واجب ، كما هو شأن الاسلام في مختلف مرافق الحياة .

ولذا لما قدم اهل الحيرة الى المسلمين المال المتفق عليه بينهم، قالوا : « انما دفعنا هذا المال على شرط ان يمنعونا البغي من المسلمين ومن غيرهم » .

ولما ابرم المسلمون المعاهدة مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة ، كتبوا في كتاب العهد « فان منعناكم فلنا الجزيـــة وإلاّ فلا » وقـد اتفق ان حشد هرقل جيشاً عرمرماً لصد قوات المسلمين واسترجاع البلاد من سلطتهم ، فلما رأى ذلـك أمراء المسلمين ، كتبوا إلى عمال المدن المفتوحـــة في الشام ، يأمرونهم برد الجزية التي أُخذت من النصارى في مقابل حماية المسلمين لهم، وذلك وفاءاً للشرط الذي كان بين المسلمين وبينهم من ان الجزية في مقابل الحماية، اما اذا زالت الحماية والمسلمون عجزوا عن صدّ قوات هرقل ، فلاحق لهم في المال .

ولذا كتب أمير الجيش الاسلامي إلى أهـل الشام يقول : «انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلـك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط ومـــا كتبنا بيننا

وبينكم ان نصرنا الله عليكم » .

ثم ردّ المسلمون مبالغ كبيرة من اموال بيت المال إلى اولئك المسيحيون عوض ما اخذوه من الجزية ،فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين ، قائلين : « ردكم الله علينا ونصركم عليهم (اي على الروم) ، فلو كانوا هم (اي كان الروم) اخذوا منا هذا المال الذي اخذتم انتم بعنوان الجزية ، لم يردوا علينا شيئاً ، واخذوا كل شيء بقي لنا » . وقد صدقوا فان غالب الحكومات في حال الحرب تزيد الضرائب لا ان ترد الضرائب التي اخذتها من الناس ، وبعد ذلك كله .. فالجزية كانت تُعفى من كثير من اهل الكتاب بمناسبات شتى – مذكورة في الفقه الاسلامي – ولذا نرى سلاطين آل عثمان اعفوا من الجزية النصارى الذين كانوا يقضون مصلحة من مصالح الدولة كأهالي رومانيا الجنوبية : لانهم يؤلفون عنصراً من عناصر القوات المسلحة في الجيش التركي .. كالمرديون القبيلة الأسبانية الكاثوليكة التي كانت تمثل الجبال الواقعة شمال اسكدرا: لانه اشترط عليهم ان يقدموا فرقة مسلحة في زمن الحرب .. واعفوا نصارى الأغريق من الجزية لانهم كانوا مشرفين على القناطر التي امدت القسطنطينية باعمدة مياه الشرب .. والنصارى الذين كانوا في حراسة مستودعات البارود في القسطنطينية .

ثم انه قد جرت القاعدة الاسلامية بانه لو تحول الكتابي

من دينهِ الى الاسلام كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، فلا يؤخذ منه بعد ذلك الجزية ، ولذا نرى بينما كانت الضرائب التي تتدفق على خزينة الدولة في العقد الثـــاني من الهجرة ، تتراوح بين مائة مليون، ومائة وعشرين مليون درهم من العراق وحدها – لكون أغلبية أهلها على غير الاسلام– نرى الهبوط المدهش فيها في زمن عبد الملك– أي بعد نصف قرن – حيث كانت الضرائب تبلغ أربعين مليون فقط .

فمن ناحيـــة تسامح المسلمين ، وقوة عقيدتهم وحسن معاملاتهم ، ومن ناحية ثانية شدة ما لاقى المسيحيون من الاضطهاد في ظل حكم غير الاسلام، أوجب دخولهم في الاسلام بمجرد رغبتهم ، زرافات زرافات .

ولبيان طرفٍ من شدة الاضطهاد التي يلاقونها نذكر الأمر التالي : فمثلاً في القرن الخامس الميلادي أغرى برصوما ، وهو أسقف نسطودي ، ملك الفرس ، بأن يدبر اضطهاداً عنيفاً للكنيسة الأرثوذكسية مما سبب ذبح أكثر من(٧٨٠٠)من رجال الكنيسة الأرثوذكسية ، مع عدد ضخم جداً من العلمانيين .. وكذلك قام خسرو الثاني ، باضطهاد آخر في غاية القساوة ضد الأرثوذكس ، بتحريض أحد اليعاقبه ، الذين اقنع الملك بأنهم أنصار (هرقل) ضد الملك الفارسي .

ولذا نرى ان المسيحيين القاطنين في القدس ونواحيه ، لما

سقطت في أيدي الصليبيين ، وخرجت عن حكم المسلمين ، حزنوا حزناً كبيراً ، بالسيادة البابوية لما علموه من اضطهاد الكنيسة لهم – وان كانوا هم أيضاً مسيحيين – ولما ارجعها المسلمون في عهد الفاطميين وبهمتهم ، استقبلوا الحكم الاسلامي بكل فرح وابتهاج .

وكذلك رحب مسيحيوا آسيا الصغرى بحكم الأتراك السلاجقة، لما عرفوا في الاسلام من التخليص لهم عن حكم الباب وملوك النصارى ، الذين طالما تحالفا في اضطهاد الشعوب والانتقام من كنيسة لكنيسة . وهكذا حديث امتداد التاج الروسي على بعض المناطق فقد ساعد الشعور بمناهضة الحكم المسيحي وسهولة الحكم الإسلامي ، على خدمة الاسلام في بعض المقاطعات الواقعة شمالي القوقاز .

في داغستان حاول داعية اسلامية يسمى (درويش منصور) ان يجمع شمل قبائل القوقاز المختلفة لمناهضة الروس فانتقل امراء يونجستان وداغستان وسائر الأشراف – بفضل جهود درويش وكراهة الحكم المسيحي – إلى الاسلام .. وكذلك دخل بدعوته كثير من الجراكسة في الاسلام ، وفضلوا ان ينفوا من البلاد على ان يخضعوا للحكم الروسي المسيحي .

ومن جراء هذه الانتقالات الفجائية الى الاسلام حرّم الروس الدخول في الاسلام من المسيحية ولذا تقدم الاسلام عن

الزحف ، اللهم الا في صور نادرة بكل خفاء حتى إذا حلت سنة (١٩٠٥) ميلادي صدر قانون بالتسامح وتجويز دخول الناس في اي دين شاؤوا وهناك اخـذ الناس يدخلون في دين الله افواجا وبالأخص في بلاد القوقاز .

ولا أدل على قوة الاسلام ، وسرعة نفوذه ، ما نجده الآن في البلاد التي تدين بالبوذية أو المسيحية أو ما اشبه ذلـك ، فانهم حين يعلمون بحقائق الاسلام يقبلون عليه بكل لهفـة . والمطالع للجرائد والمجلات الغربية والشرقية أو التي تنشر هذه الانباء ، من سائر الصحف كل يوم تأتي بطريف ، فيمن دخل في الاسلام من المسيحيين ، وغير المسيحيين على حدٍ سواء .

المسيحيون في افريقيا يخضعون للاسلام (مصر)

في سنة العشرين من هجرة نبي الاسلام، وجهت القيـــادة الاسلامية ، جيشاً الى (مصر) لتخليص النـاس من خُرافة العقيدة الى نور الايمان ، ولانقاذ المستضعفين من براثن المستغلين والحكام الفاسدين – وقد تقدم ان حروب الاسلام كلها تتسم بهاذين الطابعين الذين ذكرهما القرآن الحكيم بقوله « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضفين » .

وحكام بيزنطيه ، وإن أساءهم الجيش الاسلامي ، لكن الرعايا المسيحيين رحبوا بالمسلمين كل الترحيب ورأوا فيهم المنقذين الذين ينقذونهم مـــن امرين : اسر الكنيسة وأسر الحكومة البيزنطية . ولذا نرى انه لم يتمكن جيش الروم من قبالة المسلمين بل انسحبوا بسرعة مذهلة . فلقد كانت قررت مجمع خلقدونية ، قرارات مجحفة قبل ذلك، مما كبت الحريات بكل معنى الكبت واضطر كثير من رجال دينهم والمستدينين إلى الفرار ، حيث كانوا يلاقون العنت والارهاق من التعذيب والالقـاء في البحر ومصادرة الممتلكات ، وكبت الحريات ،

حتى اذا جاء الاسلام أنقذهم من كل ذلك فرجع الفارّون وأخذت كل طائفة تقيم شعائرها بكل حرية ، ولذا كانوا هم من أشد الناس حماساً للحكم الاسلامي ولم يجبر القادة المسيحيون حتى مسيحي واحد على ترك دينه ، والدخول في الاسلام بل تسرب الاسلام الى نفوس جماعات منهم رويداً رويداً .

بل تحول كثير من القبط إلى الاسلام قبل أن يتم الفتح ، حين كانت الاسكندرية عاصمة البلاد يوم ذاك تقاوم الجيش الاسلامي .

ومما يشاهد من راجع التاريخ ان الاسلام كان يزحف زحفاً سريعاً في النفوس حتى ان المؤرخين ذكروا ان خراج مصر في عهد (عثمان) كان اثني عشر مليون دينار وبعد سنوات قليلة ، في زمن معاوية ، هبط الخراج إلى خمسة ملايين .. وهبط هبوطاً مدهشاً في زمن ابن عبد العزيز حتى خاف الوالي على الخراج الذي كان اكثره من الجزية ، فكتب إلى الخليفة مقترحاً عليه ان لا يعفو عن الجزية من يدخل في الاسلام ، فكتب إليه الخليفة « ان الله بعث محمد هادياً ولم يبعثه جابياً » ومن الصحيح ان يعترف الانسان بأن دخول الشاذ في الاسلام كان لاجل عدم اعطاء الجزية ، لكن ليس هذا إلاّ في الشاذ وإلاّ فكيف يتمكن المتعصب المسيحي والتعصب كان الطابع العام في ذلك اليوم ، وهذا هو سر الاضطهادات المتتالية من بعض الطوائف لبعض – ان يترك دينه إلى دين جديد بمجرد

ضريبة بسيطة فقد كانت الجزية بسيطة جداً ؟ فهل ترى ان من المعقول ان يستعد المسيحي من طائفة ان يترك وطنه واهله لانه لا يستعد للدخول في طائفة اخرى من المسيحية ثم يستعد لان يترك اصل المسيحية لاجل (ثلاثين درهم) المعادل لاقل من (دينار) في السنة مثلاً كي لا يدفعها جزية إلى المسلمين في مقابل حمايته ؟

وحيث ان المسلمين كانوا يعرفون وجوب الدعوة إلى الاسلام والجهاد في سبيله بكل شيء كان من العادي ان يُري المسلم التاجر الذي يسافر إلى بلد للتجارة ، سواء للبيع أو الشراء ، يحمل ماله بكف ودينه بكف ، ويعامل بالأول ويبلغ بالثاني ، حتى كأنهما عمل واحد – تبعاً لما يظهر من الآية الكريمة من امتزاج الدين والدنيا ، والدنيا بالآخرة ، « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » . وكذلك كان كثير من المسلمين المتحمسين ، يجوبون البلاد ويحملون مشاق الاسفار الشاقة ، ومتاعب الغربة في سبيل الدعوة إلى الاسلام واعلاء كلمة الله في الأرض . فقد كان مثل هاتين الطائفتين (التجار والدعاة) مثل الرياح اللواقح ، ولذا نراهم الآن يتقاطرون على بلاد (النوبة) بقصد التجارة والارشاد وفي القرن العاشر الميلادي استطاعوا أن يأخذوا إذناً ببناء المسجد ، في عاصمة المملكة المسيحية وهي تبعد الآن اثني عشر ميلاً عن

مدينة الخرطوم الحديثة .

وقد اكثرت قبيلة جهينة من الهجرة الى هذه البلاد وتوطدت بينهم وبين النوبيين أواصر التجارة والصداقة والزواج ، ثم النسابة ، مما كان له اكبر الاثر - أخيراً - في جلب عدد محترم من أهل البلاد الى الاسلام بالطرق السلمية ، ثم زاد في شوكة المسلمين وكثرة عددهم ، أمر مهم جداً : هو دخول ملك مدينة (دنقلة) في الاسلام بالطوع والرغبة وذلك في القرن الثامن الاسلامي .

وقد نشط دعاة الاسلام لهداية الناس في نوبة واليك مثلاً لذلك .

يقول بن سليم : رأيت رجلاً في مجلس نوبي وسألني عن بلدي ؟ فقلت : مسافته الى النيل ثلاثة أهله . ثم سألني عن ديني ؟ فقلت : « ربي وربك الله ، ورب الملك ورب الناس كلهم واحد ، وهو كائن في السماء وحده ، فإذا ابطأ عنهم المطر ، أو أصابهم الوباء ، أو وقع بدوابهم آفة ، صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضى حاجاتهم قبل ان ينزلوا » فقال الرجل السائل : ان الله لم يرسل قط رسولاً فيهم ؟ فقلت له : « بلى ان الله بعث موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ، وأيدهم بالمعجزات » فقال الرجل: « إذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا وقد صدقتهم ان كانوا فعلوا » .

ومراد ابن سليم من ان الله في السماء ، اطلاعه سبحانه على ما هنالك كما ان وجه صعود الجبل القرب الى السماء ، فقد ورد في الآية الكريمة « وفي السماء رزقكم وما توعدون ».

وقدأحاط المسلمون بلاد النوبة ،من جانبي الشمال والجنوب ، ففي الجانب الشمالي كان تدفق رجال الاسلام من مصر ، وفي الجانب الجنوبي ، كان تدفقهم من قبائل (بلو) الاسلامية .

وبفضل هذين التدفقين انتشر الاسلام في نوبه .

الحبشة [أثيوبيا]

لقد وضع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لبنة الاسلام الأولى في الحبشة حيث ارسل إلى هناك ، ابن عمه جعفر أخ الأمام المرتضى عليه السلام على رأس وفد كبير من المسلمين المهاجرين ، فراراً بدينهم من اذى قريش ، وقد كان الوفد موفقاً حيث تمكن من جلب الملك (بخاشي ابن اصم) إلى الاسلام وباسلامه ، اسلم جماعة من حاشيته .

أما مدى تعلل هذا الاسلام في نفوس أهل الحبشة؟ فذلك مما لا نعلمه، وهل بقي الاسلام ممتداً خيوطه بعد موت النجاشي أم لا ؟ فذلك ايضاً مما لا ندري تفصيلاً عنه .

الا ان المعلوم ان أَسراً اسلامية كانت تقطن في الحبشه ، ممن نزحوا عن بلاد الاسلام ، ثم انفصلت بعض الأراضي

الساحلية من مملكة الحبشة والتحقت بالدولة الاسلامية ، لكن بدء كثرة الاسلام هناك ، في زمان ابي عبدالله محمد،حيث كان داعياً مجاهداً ، فذهب وأخذ يدعوا إلى الله ، حتى تمكن ان يجمع حوله مائة الف شخص ،ووقعت بينه وبين حاكم (أمهرة) حرب ضارية .

وتمكن بعض المسلمين ان يلتحق بالبلاط ، لينشر الاسلام في حاشية الملك ولكن ضغطاً شديداً أحدثه الملك على المسلمين ولا بد ان يكون ذلك باغراء بعض المسيحيين، مما آثار استياء عامة المسلمين ، فقد قرر الملك ان لا يلبس المسلم عدة الحرب، ولا يمسك السيف ، ولا يركب الخيل المسرج ، وان يقدموا له كل عام بنتاً من بناتهم بعد تنصيرهـا .. والمسلمون كانوا مضطرين الى امتثال هذه الأوامر التعسفية مخافة الفتك بهم .

لكن رحمة الله سبحانه ، كانت ناظرة لهم ، حيث قيض لهم رجلاً اسمه (احمد) فحارب الأحباش وأخرج المسلمين من بين الذلة والتحق بجيشه الظافر كثيرون ، كما أحدث هـذا الحرب تحولاً في النصـارى فأسلم الكثيرون منهم ، وانتشر الاسلام هناك انتشاراً هائلاً ، حتى ان المؤرخين أوصلوا نسبة المسلمين إلى الثلث من السكان .

ثم عم البلاد حالة فوضى واضطراب ، مما أدت الى ملوك الطوئف ، وكثير منهم كانوا مسلمـين ، فأخذوا يوسعون

الاسلام وينشرونه بين الناس المسيحيين وبالطبيعة (ان الناس على دين ملوكهم) كثر المتحولون الى الاسلام، من النصرانية وكان مما ساعد المسلمين على انتشار دينهم التفوق الأدبي والعلمي ، فكان كل مسلم يعلم أبناءه القراءة والكتابة والأحكام ، حسب دستور نبي الاسلام ، حيث جعل العلم فريضة ، وبالاضافة الى نظافة المسلمين التي هي من شرائع دينهم كما في الحديث (النظافة من الايمان) ورقيهم الاخلاقي امانة وإخلاصاً وصدقاً وما أشبه ،فكل هذه العوامل جعلت المسلمين الطبقة العليا في المجتمع الحبشي ، حتى ان كثيراً من الأشراف والتجار كان يفضل المسلم لاموره على المسيحي الذي هو من أبناء جلدته .

ثم حدث ان ملك (جون) تعصب ضد الاسلام ، وأرغم خمسين ألف مسلم على التنصير والتعميد ، لكن الامر لم يدم فقد هدد ملك ايطاليـا وأتباع المهدي (ليجون) مما أربك أمره ، وقلل من نفوذه ، فعاد الناس الى الاسلام ، بل فوق ذلك فقد دخل ملك ولاية (كانا) في الاسلام ، كما أسلم قبائل (ثاكليه) و (هبتيه) و (وقيماريام) وغيرها، كذلك أخذ النمو الاسلامي يزداد في القبائل بفضل الجهود المثمرة التي كان يبذلها الدعاة المسلمون .

أما شمال افريقيا ، فقد كان في أسس المسيحية ، فيها ، جهـل الكنيسة المطبق وشدة التعصب السائد بين الطوائف المسيحية ، وانتشار الفوضى ، وفساد الادارة الحكومية ،

حتى قال بعض المؤرخين : ان الحروب وحكومة الامبراطور (جستنيان) قد أفنت خمسة ملايين ، وهكذا تم خراب افريقية ، حتى ان الغريب كان يرى أثر ذلك الخراب بادياً للعين ، وقد زالت عن الوجود (الوندال) المحاربون الأشداء ، بعد ان كانت كثرتهم في يوم من الأيام تبلغ مائة وستين الفاً من المحاربين ، وهكذا دام هذا الخراب والدمار اكثر من نصف قرن .

وقد تمكن الدعاة المسلمون بفضل جهودهم وصمودهم من هداية الأهالي بكل لين وحزم. فقد انطلقوا جماعات جماعات، كل جماعة بين خمسة والعشرة ، إلى جهات مختلفة من البلاد ، وكانوا في ألبسة الزهاد ، بأسمال بالية ، يقتنعون من الطعام بأقله ، ومن الراحة بشيء ضئيل ، يمشون على أرجلهم ، وفي يد كل منهم عكازة ويختارون أشد أماكن الجبال وحشةً ، وأقلها عمراناً ، وقد كانوا يبنون لانفسهم خياماً او صومعة في غاية البساطة ، في الكهوف والسفوح ، والأخاديد ، كما أنهم كانوا يمارسون مهنة التعليم المجاني والصناعات البدائية والطب وما أشبه ، مما جلب انتباه القبائل وجعلها تلتف حولهم وتقبل منهم الاسلام .

وأنظر إلى هذا الدستور الذي القاه على جماعة منهم شيخهم ، لبيان أسلوب الهداية قال : « انه لواجب قد القي على عواتقنا : أن نحمل مشعل الأسلام إلى تلك الأصقاع التي

ضيّعت ما ورثته من بركات هذا الدين ، ذلك ان هذه القبائل البائسة لم تزود مطلقاً بالمدارس، وليس لديهم شيخٌ يعلم ابناءهم مبادىء الأخلاق وفضائل الأسلام. لهذا فهم يعيشون كالحيوان الأعجم ، لا يعرفون الهاً ولا ديناً ولكي تنزع عنهم هذه الشقاوات ، عقدت النية على أن أناشد غيرتكم الدينية وهدايتكم ، لا تدعوا بعد اليوم سكان هذه الجبال غارقين في حالة يرثى لها من الجهل ، بحقائق ديننا العظمى ، انطلقوا وانفخوا في نيران دينهم الزائلة ، واعيدوا انارة جذوتها الخامدة طهروهم مما قد يظل عالقاً بهم ، من اثام ومن اثر اعتقادهم القديم في النصرانية ، فطنوهم الى أن الله لا يقبل الرجس في دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله .

وهكذا أخذ المسلمون ينشرون الاسلام ، في تلك البلاد ويُدخلون الناس في الاسلام افواجاً، متبعين سنة الرسول صلى الله عليه وآله في الدعوة الى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن .

وحيث ان الكتاب هذا لم يوضع لبيان الحروب، وتفاصيل القضايا ، لم تتعرض هذه الخصوصيات في هذا الفصل ، كما لم تتعرض لها في سائر الفصول ، كما لم نذكر في الكتاب تسلسل القضايا، لأن الغرض كان الالماح والإشارة، لا التفصيل والمزايا.

ثم لا يخفى ان الكتاب كله – وخصوصاً هذا الفصل ، وبالذات خطاب هذا الشيخ الجليل الآنف الذكر – يمكن ان

يرشد المسلم المعاصر الى ان الاسلام كيف تقدم ، وانه لا يصلح هنا الدين في آخره، الا ما أصلحه في أوله فإذا اعيدت جذوة الايمـــان الحادية للعمل المستمر الشاق ، في النفوس ، بكل الوسائل الممكنة ، التي منهـا ، نشر الدعوة ولو كلف الأهل والمال والراحة ، واستلزم المشاق والمتاعب ، والجوع والسهر ، والابتعاد عن الأهل والوطن وقارن الخوف بانواعه .. لا بد وان يعود الاسلام الى الوجود ويأخـــذ بالزمام نحو الفضيلة والحرية والرفاه والسعادة . وإلا فالذي يشاهد من المسلمين لا يصلح لابقاء الاسلام في نطاقه الواصل اليه ، فكيف بانتشاره وتوسيع آفاقه .

المسيحيون في اسبانيا (اندلس) يخضعون للاسلام

أينما ذهب الاسلام حمل معه مشعل الهداية والايمـــان ، لتخليص الناس من خرافة العقيدة ، ومشعل الحضارة الانسانية ، لتخليص الناس من الفقر والجهل والمرض والرذيلة ، وتبع هذين ازدهار العمارة والتجـارة والصناعة والزراعة ، وما اليها من اسباب الرفاه والسعادة والعيش الرغيد .

ومن الأمثلة الحية الماثلة للعيان لذلك (اسبانيـــا) فقد دخلها الاسلام في سنة – ١٣١ – ومن الهجرة وخرج منها سنة – ٩٢٢ – حيث اصدر (فرناندو ايزابلا) قانوناً يمنع اقامة شعائر الاسلام في جميع أنحاء البلاد .

وأخذت محاكم التفتيش ، تفتش عن المسلمين ، وتنزل بهم العقوبات القاسية التي من أهونها الحرق حتى انهم أحرقوا في بعض الأقطـــار اكثر من ثلاثين ألف مسلم ، بجرم الاسلام فحسب وبجرم ما قدموه للبشرية من حضارة ورفاه .

وقد كان تاريخ المسلمين في اسبانيـــا من انصع صفحات

التأريخ ، وهم ابار علم الغرب ، كما يعترف به نفس الغرب ، ولو قدر لهم بقاء قرن واحد ، لم يستبعد ان يصل العلم الى ما وصل اليه بعد قرن ، بفارق واحد وكونه ممزوجاً بالصلاح والعمار ، لا الفساد والدمار ، وهو الطابع العام للعلم الغربي ، حيث انسلخ عن الايمان والفضيلة .

لقد كان المذهب الكاثوليكي هو السائد في البلاد ، حين هبط فيها المسلمون ، وكان قبل ذلك اصدر المجمع السادس في (طليطله) قراراً بان يحلف كل ملوك تلك البلاد بانتصار المسيحية الكاثوليكية ، بكل قواها ، وان لا يسمح بانتشار أي مذهب آخر ، وأن ينفذوا القانون بالقوة على من سولت نفسه بالخروج عن هذا المذهب .. ثم اصدروا قانوناً آخر مضحكاً . ومضمونه : حرمة ان يتطرق الى ذهن أحد الشك في الكنيسة الكاثوليكية بما يتبعها ، من الانظمة ، والتفاسير للانجيل ، والقرابين المقدسة ، وما إلى ذلك ، ومن المعلوم ان مثل هذين القانونين يوجب اكبر قدر من العنت والارهاق بالنسبة الى عامة الناس ، فقد دارت على أثر ذلك الدائرة الدامية على كل الطوائف ، سواء اليهود ، أو الوثنيين ، أو المذاهب الاخرى المسيحية ، وما أكثرها ؟ بالاضافة الى ان مثل هذا القانون يجعل الناس في حالة ارتباك وفوضى ، فكل واحد يريد النكاية بالآخر ، ليس عليه إلا أن يخبر الكنيسة ضده باتهام باطل .

ولذا بلغ الأمر الخناق ، وأخذ المفكرون يفكرون في الخلاص .. وقد كانوا سمعوا بالاسلام وتسامحه وحضارته ، وقوّة اصوله .

حتى اذا جاء الاسلام رحب به الأهالي بمختلف طبقاتهم ، ـ ما عدا السلطة والكنيسة الكاثوليكية ـ به اكبر ترحيب ، وبذلك انهارت المسيحية انهياراً مدهشاً ، وسبب ذلك واضح ، فإن الناس ، انما يريدون الدين لرفاه الدنيا وسعادة الآخرة ، فإذا رأوا في الدين ، نِكال الدنيا ورأوا رجال الدين أبعد من الناس السذج عن الآخرة ، لانغماسهم في الشهوات الحيوانية والملاذ المحرمة ، سلبت ثقتهم بالدين ، فإذا كانوا أحراراً تركوا مثل هذا الدين ، وإلا تحينوا الفرص للخلاص منه ، فاذا هبت نسائم سقط الهرم بمجرد عاصفة ولو طفيفة .

ولم يقتنع المسيحيون الاسبان ، الذين اسلموا ، بالاسلام لأنفسهم فقط ، بل راحوا ينشرون الاسلام بكل جد واخلاص وحماس ، فالمسلمون لم يزيدوا على الأخذ بالزمام ، وخلاص الناس من الكبت والارهاب ، وارشادهم الى الحق ، أما الذين نشروا الدين في كافة انحاء اسبانيا ، فهم كانوا المسلمون الجدد الذين تحولوا عن النصرانية .

ولم يشاهد المسيحيون الذين بقوا على دينهم أي ضغط من الحكام المسلمين حتى لم يحسوا بضغط (الجزية) لأنها أولاً

كانت عوضاً عن الضرائب الباهظة التي كانوا يؤدّونها الى حكومتهم من ذي قبل .. وثانياً : ان مقدارها كان قليلاً جداً ، فكانت على الغني ثمانية وأربعين درهماً ، وعلى المتوسط أربعة وعشرين ، وعلى العامل اثني عشر ، في حين أعفي منها الفقير والمرأة والطفل والراهب والمقعد والأعمى والمريض والرقيق ، وسائر من هم من هذا القبيل .. وثالثاً : كان جباة هذه الجزية هم مسيحيين .

وقد أدّى هذا التسامح المدهش ، وفضيلة المسلمين التي التزموا بها في حلهم وترحالهم الى استئناس المسيحيين بهم استئناساً أدى الى التصاهر ، ثم الى الاسلام التدريجي .

وكان مما زاد في انتشار الاسلام ، حماس المسلمين لنشر دينهم ، وسهولة اصول الاسلام التي يفهمها كل طفل صغير ، ونظافة آدابه ، فالمسلم كان يرى انه لو هدى واحداً ، كان خيراً له مما طلعت عليه الشمس – حسب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله – .. والاسلام كان يشرح : أن للكون إلهاً عادلاً . وقد بعث أنبياء أولهم آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله ، ونصب الرسول لنفسه خلفاء . وهناك يوم آخر يحشر الناس فيه للمحاسبة ، فإذا قورنت هذه العقيدة بعقيدة التثليث العاصية حتى على عقل المفكرين ، وسائر الغوامض التي تتبع عقيدة التثليث ، بدت العقيدة الاسلامية في كمال السهولة والوضوح .. أما نظافة آداب الاسلام في

المأكل والملبس، واتخاذ الزوجة، والتعامل ، والنظافة البدنية، وما اليها ، فشيء واضح لا يحتاج الى البرهان .

وكذلك كان من عوامل انتشار الاسلام المدهش ، الشعائر الاسلامية التي كانت تقام بكل هدوء واتزان ، ويشترك فيها الجماهير ، كصلاة الجماعة ، والصيام ، والسهر في ليالي الجمعة والاحياء ، وتلاوة القرآن الحكيم ، وغيرها .

وما أن اعتنق الناس الاسلام، حتى تعلقوا به أشدّ تعلق، حتى انه لما دبرت المؤامرة المشئومة للاجهاض على الاسلام والحضارة الاسلامية المتألقة ، لم يكن الناس مستعدين لترك الاسلام بأي ثمن ، ولذا لقي المتآمرون أشدّ أنواع المشقة في تصفية البلاد من المسلمين ، وذلك باستعمال أقسى الوسائل ، التي منها : —

١ : — طرد المسلمين الجماهيري من البلاد ، ففي أيام قلائل طردوا أكثر من نصف مليون مسلم .

٢ : — احراق المسلمين الجماهيري ، ففي أيام قلائل ، وفي مقاطعة واحدة أحرقوا اكثر من ثلاثين ألف مسلم .

٣ : — تعذيب المسلمين والتنكيل بهم بأقسى أنواع التنكيل .

٤ : — اجبار المسلمين على التنصير، بجميع انواع الاجبار.

٥ : – هدم جميع المساجد وتحويلها الى الكنائس ، وتحريم شعائر المسلمين حتى إقامة الصلاة الفردية .

ومن غريب الأمر ان مع هذا الارهاب المدهش ، بقيت باقية من الاسلام في البلاد ، بل فوق ذلك فقد ذكر بعض المؤرخين : ان الاسلام اخذ يزحف في خفاء ، حتى في وسط الارهاب ، بخطوات بطيئة .

ولا ادلّ على البقية الباقية من الاسلام ، حتى في نفوس المسيحيين إلى هذا اليوم ، من القصة التالية التي رواها لي أحد الأصدقاء الذين زاروا اسبانيا قبل سنوات ، وإليك القصة بنصها ، قال : « وعينت إدارة السياحة العامة فتاة لتصحبني طول سياحتي في إحدى المدن، وتريني الآثار العتيقة والنفائس الموجودة في البلد ، وكانت هي مسيحية من أبوين مسيحيين – كما قالت – وكان من جملة المحلات التي زرتها ، مسجد كبير جداً ، بنيت في وسطه كنيسة منذ عهد الانقلاب ، وحولت منارته إلى مصعدة الناقوس ، ثم ارتني الفتاة باباً ثميناً جميلاً منقوشاً بالنقش الاسلامي ، وكان قد قلع من المسجد ، وعلّق في السقف قرب المحراب – الذي كان بدّل مذبحاً لهيكل المسيح ومريم عليهما السلام – قال : فاشارت الفتاة إلى الباب قائلة : هذا الباب صلب منذ زمن الانقلاب ، وسيعود يوماً إلى مكانه ، حينما يعود حكم الاسلام ، قالت هذا ، وانهمرت عيناها بالدموع ، حزناً وكمداً .

قال : فعلمت من ذلك مدى حبها للاسلام . وشدة تعلقها به ، بالرغم من كونها مسيحية ، ولم استبعد ذلك ، حيث جماعة كانوا من الأهالي الذين رأتهم ، يعلمون التاريخ الاسلامي جيداً ، وانه تاريخ حضارتهم الزاهرة ، التي فقدوها منذ سقوط البلاد في أيدي الصليبيين .

والقصة الآنفة الذكر ليست من الغرابة بمكان، فانيشخصياً – مؤلف الكتاب – رأيت افراداً من المسيحيين لهم التعلق التام بالإسلام.. وقد وفقني الله في فترات مختلفة لهداية بعضهم الى الإسلام ، وكان من جملة أولئك بعض أهالي (روما) من (ايطاليا) وكان من أسباب توفيقي مساعدتهم هم بأنفسهم على حسن الاسلام وجماله ، وكان مانع أحدهم عن قبول الاسلام : ما كان يزعمه من ان الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وآله ، ينافي الأذعان بالمسيح وامه مريم عليهما السلام – اللذين كان له بهما أشدّ التعلق – .

فلما شرحت له ان من جملة اركان الاسلام : الايمان بالأنبياء السابقين الذين من جملتهم المسيح عليه السلام ، وانا نعتقد أن خمسة من الأنبياء من أفضل الأنبياء ، من جملتهم المسيح ، وان باسم مريم الصديقة وفي شأنها وطهارتها نزلت سورة كاملة ، انشرح انشراحاً كبيراً ، واظهر الإسلام ، وشهد الشهادتين .

توسع الاسلام في أروبا في عهد آل عثمان

اكتسح سيل العدل الجارف بلاد الاسلام بكل حضارتها ، وكان ذلك من أثر سوء السلطة العباسيـــة ، فقد وصلت الى التطرف في كل من الميوعة والانحلال، ومن سوء الادارة باشعال الحروب والثورات الأهلية الناجمة من التفرقة وعـــدم الاهتمام بأمور الاهلين .. مما سبب تصدّع بلاد الاسلام اولاً ، ثم عدم وجود جيش قوي يحمي البـــلاد عن الكوارث الداخلية والخارجية ، ثانياً .

ولذا لما جـاء المغول لم يلاقوا أية مقاومة تذكر ، ففعلوا ما فعلوا من الويلات .

وقد سببت هذه الغارة فرار جماعات كبيرة من المسلمين من البلاد ، كانت من جملتهم الأتراك العثمانيون ، الذين كان عددهم يقرب من خمسين ألفاً .

فلما وصلوا الى بلاد (قونية) وخدموا سلطانها ، في صد المغول والاغريق عن التسرب الى مملكته ، قرّبهم وأقطعهم

ولاية في الشمال الغربي من اسيا الصغرى . وكان ذلك في القرن السابع الهجري .

وكانت هذه نواة الدولة العثمانية التي نهضت بحماس اسلامي منقطع النظير ، لترث الدولة العباسية ، وقد ضمّت الى نفسها أول الأمر الولايات الصغيرة ، التي كان الأتراك السلجوقيون يحكمون فيها على نحو ملوك الطوائف عند ضعفهم وانحلالهم .

وبعد ما قويت الاتراك ، أخذوا يوسّعون البلاد ، باسم الاسلام ، حتى وصلوا الى (فينّا) .

ولأول حركتهم حكاية طريفة ، هي :

ان جدهم الأعلى كان جندياً في الجيش ، وفي ذات يوم رجع الى خبائه ليلاً ، وقد أنهكه الحرب والعطش، وأخذ منه التعب كل مأخذ ، وفور وصوله الى الخيمة ، ألقى بنفسه على الأرض يريد النوم، وحين ذاك تذكر أن في عمود الخيمة قرآن معلّق – كما كانت العادة كذلك في ابان الحروب الاسلامية ، استنجاداً بالقرآن ، وطلباً للبركة – ففكر في نفسه : انه لو كان ملكاً هل كان ينام أمامه هكذا ؟ فجلس .. ثم فكّر ، انه لو كان ملكاً هل كان يجلس أمامه ؟ فقام .. ثم فكر ، انه لو كان ملكاً هل كان يقف أمامه هكذا ؟ فتأدب بوضع يديه على صدره ، وهكذا وقف إلى الصباح، وفي هذه الاثناء أخذته نعاسة ، فرأى في المنـــام قائلاً يقول له : باحترامك

القرآن جعلنا في آلك السلطنة إلى بطون .. وكان كما رأى .

وهكذا أخذ يعلو نجم الاتراك ، ويوسعوا في بـــلادهم ، وكانت البـلاد المسيحية تستجيب للاسلام استجابة مدهشة ، لسبب الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه من الكنيسة والسلطة .

وقد حدث في زمانهم حادثان مهمان : —

١ : — فتح القسطنطينية التي عصت على بـني أُمية وبني العباس ، بكل ما اتوا من حول وطول ، مما له من أغـــرب القصص في تاريخ الفتوحات الاسلامية .

٢ : — تحرك الغرب ضد المسلمين الذي ابتدأ بقصـــة (بطرس المعتره) الذي قاد جيشاً معتبراً ضد الاتراك ، فمني بالهزيمة المنكرة .. وهذه القصة تعتبر نواة لهذا الغزو الصليبي الذي نراه اليوم قد عمّ بلاد الاسلام ، ويجـــدر بكل مسلم أن يطّلع على هذه البادرة المشومة التي انتهت بغزو الغربيين لبلاد المسلمين — بعد قرون — .

وقد كان محمد الثاني ذكياً حازماً ، حين أعلن نفسه حامي المسيحيين — كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من اذى ذميـــاً فقد اذاني — وحرّم اضطهاد المسلمين للمسيحيين ، او اضطهاد بعضهم لبعض ، ورمق بعين العطف (جنادّيوس) البطريق ، وفوّض أمر الطوائف المسيحيـــة إلى علمائها .

ولما رأى الطوائف المسيحية وعلمائها هذا العطف والتسامح من جانب المسلمين نشطوا نشاطاً هائلاً في تدعيم الحكم الاسلامي، ضد البيزنطيين الذين كانوا يضطهدون طائفة على حساب طائفة، وكانوا يتدخلون في كل شؤون الكنائس ، وكانوا يأخـــذون منهم الضرائب الباهظة .

وبالأخص حصلت الحكومة ولاءاً من الطائفة الارثوذكسية، حيث رفع عنها الاضطهاد ، وأعلنت الحكومة في منشوران لها ، حتى الاحتفـــال بطقوسهم الدينية في إطارٍ يقرره الاسلام .

* * *

نعم حوّل الاتراك جملة من الكنائس الى مساجد ، حسب القاعدة المتّبعـــة بين الفريقين ، وهي ان المسلمين اذا غلبوا حوّلوا الكنائس الى مساجد ، واذا كانت الغلبـة للمسيحيين حولوا المساجد الى الكنائس .. لكن الكنيسة اذا تحولت الى المسجد زادت احترامـــاً ، باعتبار ان المساجد لا يجوز تنجيسها ، ولا مكث الجنب والحائض فيها ، الى غيرهـا من الاحترامات المقررة للمساجد في شريعة الاسلام .

ومن تلـك الكنائس التي حولت الى المسجد : كنيسة (اياصوفيا) الشهيرة ، التي حولت هي بدورهـــا من معبد لغير المسيحيين الى الكنيسة ، إبان سيطرة المسيحية عليها ،

فهي من معبد الى معبد الى معبد .

أما اليوم – ومن المؤسف أن نقول – فقد أصبح هـذا المسجد العظيم متحفاً للزائرين ، ويمنع من الصلاة فيه ، بعد ان غزا الغربيون بلاد المسلمين ، وجعلوا أتاتورك عامـلاً لهدم الانسان .. وقـد سافر بعض أقربائي في السنة الماضية الى تركيا ، وزاروا هذا المسجد ، فلما ان ارادوا الصلاة ، منعهم البوليس المقرر لهذا الشأن ، لكنهم كانوا اكثر صرامة من تأثير هذا المنع ، فتحدوا البوليس واصطفوا للصلاة .

وحيث رأى الاغريق وغيرهم الذين هم سكان البلاد، عدالة الإسلام أسرعوا في تأييد السلطة الفاتحة ، واعتقدوا انهم خير من السلطة المسيحية – وان كانت السلطة المسيحية تشاركهم في العقيدة – فحسبوهم محررين لا فاتحين ، فقـد كانت الارستقراطية الفاسدة ، ورجال الكنيسة المستبدين ، وضغط القانون ، وكبت الحريات ، التي كانت تلازم حكم (الفرنجة) و (البندقية) الذين طـال نزاعهم مع (بيزنطية) حول ملكيَّة (البلويونيز) وبعض الجهات المجاورة لبلاد اليونان ، جعلت أهل البلاد في حالة من العبودية والكبت ، ليس فوقها تعسف وارهاق .

ومن الطبيعي ان يدخل الناس في الاسلام . بعدمـا رأوا هذا التسامح ، وهذا الاخلاص ، وبعـد ان رأوا الاحترام ،

الذي ما كانوا يحملون به تحت ظل حكومتهم ، فرجال الدين الاسلامي في صورة مدهشة من البساطة والأخلاق ، وكان جملة من حكام الأتراك مثل (بايزيد) و (مراد الثاني) يألفون المسيحيين ألفة تامة ، الى ان وصل الأمر الى ان أجازوا أن يدخلوا مجلس الخليفة بكل حرية ، وكل موظف سوّلت له نفسه أن يتعدى على مسيحي كان يلقى العقاب الصارم .. فأين هؤلاء من رجال الدين المسيحي المستبدين، وحكام البيزنطية المتعجرفين ؟؟ .

هكذا حمل حكم الاسلام التركي مع نفسه مبادىء الاسلام الطيبة حيث حطّت له قدم ، ففي (المجر)و (ترانسلفانيا) وغيرهما لقي الاتراك كل ترحاب من جانب الأهلين وآثروا الخضوع لحكم الاسلام على البقاء في حكم سادتهم الأولين ، وبالأخص (أسرة هالسبورج) الذين عرفوا بالتعصب الشديد والاستبداد ، وكذلك نظر (البروتستانت) الى حكم الاتراك بعين الرغبة . وتمنوا أن يمنحوا الحرية في حكم الاسلام ، بعدما يئسوا عنها في ظل حكامهم السابقين .

صحيح ان الاتراك لم يسووا بين المسلمين وغير المسلمين في كل شيء ، لكن هذا لم يكن قط مثار اشمئزاز ، كما ان عدم التسوية بين الرعايا والأجانب القاطنين في بعض الأمور القانونية – في حكومات اليوم – لا يكون مثار اشمئزاز .. بالاضافة الى ان الحقوق التي اعطيت للمسيحيين ،

والتسامح الذي لم يعط حتى المسلمين – باعتبار اعفاء الاسلام لغير المسلم في أمور – كانت جديرة لعدم شعور المسيحي بأي تخلّف أو غمط .. أما مـــا وُفّر للمسيحيين من الاحترام والحرية ، فكان ما يجعلهم يطيرون فرحاً بفتح الاسلام .

وقد كان هـذا التسامح الاسلامي الذي شاهده الأهلون موجباً لهجرات كبيرة من سائر انحاء البلاد ، فقد جعـــل التسامح بلاد تركيا كعبـة الامان ، ولذا تقاطر مهاجروا اليهود من اسبانيا ، والمسيحيين من بلاد روسيا الى المملكة العثمانية ، هاربين من اضطهاد حكوماتهم ، حتى لقد قـــال (ريتشارد)وهو تاجر انكليزي قطن تركيا لما رأى التسامح: « ان الاتراك سمحوا للمسيحيين أن يعيشوا محافظين على دينهم ، وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا ، بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم ، حين استطيع ان أوكد بحق ، بدليل اثنتي عشر يوماً قضيتها في (اسبانيا) اننـا لا نُرغم على مشاهدة حفلاتهم البابوية فحسب ، بل اننـــا في خطر على حياتنا وسلعنا » . وهكذا أعاد الاتراك الى الاذهان ما للاسلام من مزايا ، وان الاسلام هو المخلص الوحيد للبشر من الويلات ، وحتى المسيحيون في ايطاليا أخذوا يتطلعون الى تركيا بكل لهفة ، لمـــا رأوا من حكم الاسلام العادل ، وتمنوا لو يصل التركي الى هناك .

هذا كله بالرغم من نقاط الضعف التي اتسم بها حكم الاتراك ، مما

يؤخذ بها عليهم بالنسبة الى أوان نشاطهم الاسلامي في أوائل وأواسط حكمهم ، أما حكم الاتراك في أواخر أيامهم فقد كان وبالاً على الاسلام والمسلمين – وهم وحدهم – يتحملون هذا التأخر والجمود والانحطاط والانهيار التي أصابت المسلمين على أيديهم ، فان الاسلام والمسلمين لم يكبوا هذه الكبوة الفظيعة ، التي نحن الآن نؤدي جريمتها الفادحة ، إلا بسبب سوء ادارتهم وانحطاط عقليتهم ، وجمود أفكارهم ، وتسرّب الغرور الى أنفسهم ، وعلى أثرهم منينا بهذا الغزو الغربي الفظيع ، كما ان على أيدي بني العباس اصيب الاسلام وبلاده بالغزو الشرقي المروع ، وإنما أشدّنا بحكم الترك لانهم طبقوا بعض جوانب الاسلام – في زمن نشاطهم – حيث نال الاسلام ذلك التقدم الهائل ، الذي جعله يغزو قلوب المسيحيين ، ويسبب انتشار الاسلام في (اروبا) وغيرها .

وقد بذلت الحكومة التركية أول الأمر عناية فائقة لهداية الناس الى الاسلام بسبب نشر مثُله السامية بينهم بدون جبر ولا اكراه ، وهكذا المسلمون الجدد أخذهم الحماس كل مأخذ في نشر الاسلام بين بني جلدتهم ، وكان جمال الاسلام اكبر عون على انتشاره ، فجعل الناس يدخلون في دين الله افواجاً ، حتى انك لترى أشد علماء المسيحيين تعصباً ضد الاسلام يمدح ذلك ، فهذا (اسكندر ردوس) المتعصب يقول : « وفي الحق لو قرء المسيحيون باهتمام شريعة المسلمين وتاريخهم

وتدبروها ، لاستولى عليهم الحياء حين يشاهدون الى أيّ حدٍ هؤلاء المسلمون ذووا غيرة على عبادتهم وتقواهم وتصدقهم ، والى أيّ حدٍ متفانون في اخلاصهم ، قانتون في مساجدهم ، والى أيّ حدٍ مطيعون لرئيسهم الروحي ، حتى ان التركي العظيم نفسه لا يحاول أمراً إلاّ بعد مشورة المفتي ، والى أيّ حدٍ هم مهتمون بمراعاة أوقات الصلوات الخمس في كل يوم ، حيث وجدوا ، وأياً كانت مشاغلهم ، ما أشد مراعاتهم دائماً لصومهم من الصباح حتى المساء طول ايام الشهر بلا انقطاع وما اكثر قوادّ المسلمين وتراحمهم ، وما أعظم ما يرى من عنايتهم الغرباء في نزلهم سواء بالفقير أو النازح المسافر . لو تأملنا عدالتهم ونزاهتهم ، وسائر فضائلهم الخلقية ، لخجلنا من جمودنا سواء في عبادتنا أو في تراحمنا ، ومن جورنا وافراطنا وتعسّفنا ، فلا ريب ان هؤلاء الناس سيقيمون الحجة علينا ، ولا شك ان عبادتهم وتقواهم ، واعمال الرحمة فيهم ، هي الاسباب الرئيسيّة لنمو الدعوة المحمدية » .

وبفضل الايمان الصامد ، والاسلحة الحديثة التي زودت بها الجيوش التركية ، الى جانب رغبة الأهلين في الحكم الاسلامي ، سقطت الممالك المسيحية كبلغاريا ، والصرب ، والبوسنة ، والمجر ، وبلاد من الجمهورية البندقية ، أمام الفتح الاسلامي .. ولم يكن تأثير السيف في هذا المجال إلا تأثيراً ثانوياً ، قد بقي للخلاص والنجاة ، وفك الحصار فقط ، ولذا لم يكن له

سلطان ، وإنما له إزالة النطاق المستبد فقط ، كما هو شأن الاسلام من يوم انبثاقه الى يوم أفوله بسقوط الدولة الاسلامية ، وسيطرة الغرب على البلاد .

فمثلاً في (البانيـــا) في مدينة انتيفارى) كان عدد من المسلمين أولاً ، عُشر المسيحيـــين ، ثم أخذ عدد المسلمين يزداد شيئاً فشيئاً ، وكلما زاد عدد المسلمـــين ، تناقص عدد الكنائس ، بتحويل أهلها لها الى المساجـد ، حتى لم يبق في المدينـــة إلا كنيستان فقط .. وكان ذلك من جراء جـلاء الاسلام الذي كان يخلب الألباب ، اذا عرفوه حق المعرفـة ، وعدد هؤلاء الدعاة وإن كان قليـــلاً ، لكنهم ، كانوا ذوي تأثير قوي في النفوس .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان تنفّر الناس من القساوسة ، محفزاً آخراً لهم الى الدخول في الاسلام ، فاستمع الى هذه القصة التي وقعت في مدينة (اسكدار) فمنذ كان الناس يدينون بالمسيحية ، كان هناك كنيسة فيها صورة جميلة لسيدتنا مريم عليها السلام ، وكان آلاف الناس يهرعـون الى الكنيسة من كافة انحاء المملكة ، لتقديم الهدايا والتقرب الى الله ، وتأدية الشعائر ، والاستشفاء من الأمراض ، وقد حدث أن وقع شقاق بين القسيس وبين الأهلين ، وفي ذات يوم وقد قدموا على الكنيسة في جمع كبير ، واعلنوا انه اذا لم يخضع القسيس لأمرهم ، فسوف يتركون المسيحية ويدخلون في

الاسلام ، ولما لم يستجب القسيس لهم ، أعلنوا دفعة اسلامهم ، ونزعوا الصلبان من أعناقهم ، ثم توجهوا الى مساجد المسلمين ، ليؤدوا شعائر الاسلام .

وفي قصة مماثلة ، دخلت إحدى القبائل الألبانيـــة في الاسلام ، لأن قسيس المدينة قد أصرّ على أن يقول القداس في ساعة مبكرة غير ملائمة لأحوال القبيلة .

وفي (الصرب) قاتل السلطان التركي ، وملك الصرب ، وقتلا معاً ، فاعترف خليفة الملك (ستيفن) بسيادة تركيا ، وزوّج أخته من (بايزيد) السلطان التركي الجديد وفي موقعة (نيكوبوليس) غلب الأتراك بأن ضمن السلطة المسيحية لهم امتلاك كافة أرجاء جزيرة (البلقان) ما عدا بعض المقاطعات ، وبمثل هذه الأحداث كان يكسر نطاق الجهل والجمود ، ممـا يتمكن النور أن يرسل شعاعه الى الأدمغة والقلوب ، فيدخل الناس في الدين أفواجاً بطوع رغبتهم ، حيث يعرفون الحق ، ولا يخشون سلطة أو كنيسة .

وفي (هنغاريا) دخـل الاسلام بواسطة المرشدين ، فقد ذكر بعض المؤرخين ، انه وجد طائفة كبيرة من (الباشغردية) يحصلون العلم ، فلمـــا سألهم عن بلادهم وكيفية إسلامهم في وسط الكفار ؟ فقال أحدهم لساننا لسان الافرنج ، وزينـا زيهم ، ونخدم معهم في الجندية ، لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفي

الاسلام .. ثم قال : أما اسلامنا ، فقد سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه جاء الى بلادنا منذ زمان سبعة نفر من بلاد المسلمين من بلغار وسكنوا بيننا وأرشدونا الى دين الاسلام، فهدانا الله والحمد لله ، ونحن نقدم الى هذه البلاد ونتفقه ، فإذا رجعنا الى بلادنا أكرمنا أهلنا ، ووأونا أمور دينهم ».. كما أن في القرن الثاني عشر الهجري ، دخل في الاسلام كثير من أهالي (الجبل الأسود) بفضل جهود الدعاة المخلصين، ولما هدّدهم الحاكم العام بالانسلاخ عن الاسلام والدخول في المسيحية، أبوا إلا الاسلام ، فأعمل فيهم المجازر الوحشية ، مما بقيت لطخة في وجه التاريخ ،

وفي (البوسنة) كانت السلطة والكنيسة ضد السواد الأعظم ، الذي كان من طائفة مسيحية غير طائفة السلطة والكنيسة ،وكانت السلطتان تضطهدان الأهالي أعظم الاضطهاد، حتى اضطهر كثير من الأهالي ، وعددهم أربعون ألف ، الى هجرة البلاد ، والفرار من الاضطهاد ، وبقي الذين لم يتمكنوا من أن يفروا تحت رحمة السلطتين، فكبّلوهم بالحديد وأرسلوهم الى (رومة) ولم يبق إلا العجزة ، والاطفال ، والمساجين ، ومن اليهم ، وكان الأهالي ينظرون الى الاتراك نظر الانسان الى مخلّصه ، وكثرت الشكاوى الى الحكومة التركية ، حتى جاء محمد الثاني غازياً لتلك البلاد ، بقصد خلاص المظلومين من أيدي جلاديهم ، وحيث كان الأهالي الباقون ، ومن التحق

بالجيش ، مع محمد الثاني ، لم يمض اسبوع من الغزو إلا وقد فتح الله للمسلمين اكثر من سبعين مدينة ، وهناك جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، حتى يذكر بعض المؤرخين : أنه لم يبق منهم باقية بقي على دينه القديم ، إلا الجلادون الذين فرّوا الى البلاد المجاورة كالنمسا وغيرها ، وقد أحسن الاتراك معاملة الأهالي بما لم يكونوا يحلمون بها ، حتى ان منصب كبير الوزراء في القسطنطينية أشغله تسعة من أهالي بوسنة في ما يقارب نصف قرن ،

وهكذا أخذت الدعوة الاسلامية تتجدد على أيدي الدعاة المحنكين ، ويساعدها على ذلك ، حسن معاملة الحكومة الاسلامية من ناحية ، وسوء معاملة الحكومة غير الاسلامية والكنيسة من جانب آخر .. أما العامل الذي أودى أخيراً بحكومة الترك ، فقد كان نفس العامل الذي أودى من قبل بحكومة آل عباس ، من الغرور ، والانحراف عن خط الاسلام ، وما الى ذلك ، وينبغي قبل ان نختم هذا الفصل ، ان نتذكر حقيقة من حقائق التاريخ ، وهي : ان ينبغي للفرد والأمة :

١ – ان لا ييأس في حال الضعف والانحلال ، فان اليأس هو الذي يسبب الانهيار والانحطاط ، لا الضعف والانحلال ، وقد ورد في الآية الكريمة : « لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .. ولذا نرى الخمسين الفاً من الأتراك الذين فروا

من وجه الحكم المغولي ، بفضل رجائهم ، تمكنوا من ايجاد حكومة كبيرة ، لم يكن أحد يحتمل ذلك .

٢ – ان لا يأخذه الغرور في حال القوة والعزّة ، فان الغرور هو الذي يسبب عدم المبالاة وعدم الاكتراث ، مما يؤدّي اخيراً الى التفكّك ، ثم الانحلال والإنهيار والفناء – أخيراً – ولذا ورد في الآية الكريمة في ذم الكافرين : « إن الكافرين إلا في غرور » ولذا نرى ان الدولة العثمانية لما أخذها الغرور ، وظنت ان ملكها أبديّ ، وانها لا تحتاج الى اليقظة والحذر ، والاحتفاظ بعامل البقاء ، استشرت عليها الدول الغربية الصليبية مما سببّت محوها من الوجود .

ووفقاً لهذه القاعدة ، ينبغي لنا نحن المسلمين ، وقد وصلنا الآن في أشدّ حالات الضعف والانحلال: ان لا نيأس، بل نعمل بكل جد واهتمام واخلاص ، وضراعةٍ الى الله سبحانه ، حسب ما أمر بقوله سبحانه : « ولولا اذجائهم بأسنا تضرعوا » لنردّ الاسلام الى الوجود باذن الله تعالى ، فيأخذ بزمام البلاد في جميع جوانب الحياة ، سواء السياسية ، أو الثقافية ، أو الاقتصادية ، أو الاجتماعية ، أو العائلية ، أو غيرها .

خضوع فارس وآسيا الوسطى وما اليها للاسلام

لقد كانت في العـــالم امبراطوريتان تتنازعان السيادة في العالم ، هما : امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس، والأولى كانت تدين بالمسيحية والثانية تدين بالمجوسية ، وكان شعب كل واحد منهما في غاية الكبت والاضطهاد ، وكما ان الحكومـة الرومية بمحالفة الكنيسة كانت قد سلبت حريات الناس ،وأرهقتهم كل تعب ، كذلك كانت الامبراطورية الفارسية ، التي تحكمها الأسرة الساسانية بمحالفة رجال دين الزرادشت عصرت الدين عصراً .

وقد كانت الحرب بين الجانبين على قدم وساق ، فأحياناً تصل جيوش فارس الى تخوم مصر ، وأحياناً تطرق جيوش الروم ابواب المدائن ، عاصمة الفرس ، ودامت الحروب بينهما أربعة قرون .

ولما ظهر نبي الاسلام ، كتب الى ملك فارس يدعـــوه للاسلام ، ولكن الملك كان من الجهل والحماقة بحيث غضب من

الكتاب ، ومزقه وبصق فيه وأنشد شعراً معناه :

من شربِ لبن البعـــير ، وأكلِ العنب
وصلت العرب الى حيث تطمع في تيجان الملوك

بصاقاً عليك أيها الدهر بصاقا

ثم كتب الى عامله على اليمن ان يرسل اليه برأس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما ارسل عامله رجلين الى المدينة ليروا خبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ارجعا واخبرا العامـل : ان ربي قتل البارحة ربه (يعني ملكه) ، وكان كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما ان وطى المسلمون حدود الدولة الفارسية في العراق ، أضمر أهالي الفرس لهم الاحترام ، ونظروا اليهم بعين الرضا ، وعدوهم المخلص المرتقب ، بعكس السلطة التي هيأت الجيوش لمقاتلة المسلمين .

وحصلت بين زعماء المسلمين وزعمـــاء الفرس مقابلات ، اسفرت على مدى قوة المسلمين وتصميمهم على التضحية حتى ان قائد الفرس (رستم) جمع أصحابه وقال لهم :

انا لا نقدر على مقاومة هؤلاء .

لكن الغرور حال بينهم وبين الخضوع ، وأثيرت الحرب.

وانتهى المسلمون منها ظافرين .

ولما لمس الفرس حقائق الاسلام،ورأوا بأم أعينهم تسامح المسلمين وعدلهم اخذوا يدخلون في دين الله افواجاً .

ومن طريف القول: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول للناس : اذا دخلتم في الاسلام تكونون ملوكاً في دنياكم ، وتسعدون في آخرتكم .. فلم تمض سنوات الا وقد رأى المسلمون ذلك ، فهذا أحد أصحاب الرسول (سلمان الفارسي) الذي هاجر من بلاد فارس الى النبي للتشرف بالاسلام ، يصبح بعد زمان حاكماً في عاصمة امبراطور ساسان (المدائن) قرب (بغداد) الحال ، حيث مرقده الآن .

وقد تزوج الامام الحسين عليه السلام بنت يزدجرد ، آخر ملوك فارس المسمى بـ (يزدجرد) وحيث عرف أهل فارس فضل علي عليه السلام وأولاده ووصية الرسول بهم وكونهم خلفائه ، تعلقوا بهم هذا التعلق الهائل الذي نجـده فيهم الى هذا اليوم .

وقد كان من جهود دعاة الاسلام ، أن ادخلوا في الدين ، حتى الملوك ، فمثلاً (سلمان) أحد أمراء بلخ،خلع دين زرادشت ودخل في الاسلام ، بتأثير (أسد بن عبد الله وكذلك دخل في الاسلام الملك (كريم بن شهريار) بتأثير داع آخر .. كما أدخل حفيد الأمام الحسن السبط (الداعى) كثير من أهـالي

(الديلم : مازندران . وهو اليها) في الاسلام ، فتركوا عبادة النار الى عبادة الله ، وقد دان بالاسلام بفضل دعوة الشريف الرضي ، الشاعر الكبير أبو الحسن مهيار الديلمي، الذي هو من أعاظم شعراء ذلك الدور .

كما ان الديالمة والعلماء كان لهم أكبر الأثر في دخول كثير من الزرادشت وعبدة الاوثان ، في الأسلام .

وقد كان الفرس موفقين كل التوفيق ، حيث نقبوا عن الحق حتى عرفوه والتزموا به ـ كما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : لو كان العلم معلقاً في الثريّا لنالته رجـال من فرس ـ وكان من ذلك التزامهم بالائمة الاثنى عشر الذين أولهم الامام أمير المؤمنـين عليه السلام وآخرهم الامام المهدي المنتظر ، الذي وعد الله به الأمم : أن يجمع به الكلم.

وهذه العقيدة وأن لم تكن خاصة بالفرس ، بل التزم بهـا أو بجملة منها : عراق الديالمة ، وسوريا الحمدانيـة ، ومصر الفاطميـة ، ومغرب الادارسة ، وغيرها ، وغيرها ، إلا ان الفرس أبدوا في ذلك أكبر قدر من النشاط والصمود .

وكان لعلماء الفرس العظام : كنصير الدين الطوسي ،ومحمد بن الحسن ، والـكليني ، والصدوق ، والمجلسي ، وغيرهم، أكبر الأثر في ذلك ، وهكذا كان لعلماء الحلّة ، وعلماء لبـنان ، وغيرهم ، الأثر المماثـل ، كما أن الدولة الصفوية التي لا تزال

آثارها ماثلة للأعين الى هذا اليوم يدٌ طولى في اسلام جماعات كبيرة من الأهلين ، وقد ازدهرت الصناعة ، والتجارة ، والعمارة ، والزراعة وما اليها ، في عهدهم الزاهر الحافل بالأمجاد ، وكانوا يحبوّن العلم والعبادة والاحسان ، ولذا بنوا دور العلم والمدارس ، والقناطر ، والخانات ، والمساجد ، ووسّعوا المدن ، وأحسنوا الى أهل العلم ، ووقفوا الخيرات الكثيرة ،واتخذوا وزراء من أهل العلم الكاملين ، كالمجلسي والبهائي ، وأضرابهما .

وكانوا هم بأنفسهم يحضرون المدارس لتلقي العلوم الدينية ، ومساجد الشاه في مختلف بلاد ايران ، ومدارس ومساجد اصفهان ـ عاصمتهم ـ والخانات المشتهرة بـ (الشاه عباس) وغيرها الباقية الى الآن ، لمن أقوى الشواهد على ذلك .

وبمقتضى (الناس على دين ملوكهم) لما رأى الناس هذا الاقبال المدهش والعدل والاحسان من ملوكهم ، أخذوا يتبعونهم في الخير والاحسان، وأخذت جماعات كبيرة من الذين كانوا بقوا على أديانهم السابقة ، يدخلون في الاسلام ، حتى صار الاسلام ، هو الطابع العام لكل البلاد .

وقد امتدت رقعة سلطتهم الى العراق ، وأفغان وغيرهما، ورأت البلاد في عصرهم كل خير .. ومن الانصاف للحقيقة أن نقول : ان ما نسب اليهم بعض ـ ممن قل اطلاعه ـ من انهم

كانوا يجبرون الناس على التشيع ، لا واقع له ، ولا سندتأريخي يعضده ، وإنما كانوا يباحثون ويناظرون في مختلف المسائل الأصولية ومن جملتها الأمامة – حباً منهم للعلم ولاظهار الحقائق وكانوا يخيرون الطرف المقابل، بين أن يثبت : انه على حقٍ ، فيتبعونه ، أن يقبل الحق ، اذا ظهر فساد طريقته ، وإن أبى هذا وذاك فهو يعاند ، يعامل كما ينبغي أن يعامل المعاند.

وقد اتخذوا هذه الطريقة عن النبي صلى الله عليه وآله ، حيث أنه صلى الله عليه وآله كان يخير الناس بين قبول الحق، ان ظهر فساد كلامه . أو أن يثبت ان طريقته لا طريقة الرسول صلى الله عليه وآله الحق ، وهذا غاية الانصاف ، كما ألمع اليه الآية الكريمة : « انا أوإياكم لعلي هدىً أو في ضلال مبين » ودلت عليه الأخبار الواردة في كيفية احتجاج الرسول صلى الله عليه وآله لليهود والنصارى والمشركين ، ودلت عليه بالخصوص قصة (المباهلة) ويلمع اليه قوله سبحانة : « وجادلهم بالتي هي أحسن » .

أما (أفغان) فقد دخل الاسلام فيها كما يبدو على يد (قتيبة) فانه لما وفد الى (سمرقند) وجد ان هناك اصناماً تعبد من دون الله ، وعبدتها يزعمون: ان من تعرض لها بسوء، نال النكال ، لكن (قتيبة) لم يأبه بهذه الخرافة ، وتقدم الى الأصنام فكسرها ولما رأى أصحابها عدم نكال ينزل بالذي

كسرها ، عرفوا انها لا تضر ولا تنفع ، ودخل نور الاسلام في قلوبهم .

وأما (تركستان) : فقد كان الحاكم فيها ساتوق بفراخان) وكان كافراً ، وقد حرض منامٌ للداعية (أبو النصر السامانى) الذي كان من امراء السامانيين ، ان يذهب الى الملك ويدعوه الى الاسلام ، فانه كما ينقل رأى في المنام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : « اذهب الى تركستان ، لتجد الامير ساتوق ، بانتظارك للدخول في الاسلام ، فقام أبو نصر وشدّ الرحال الى هناك ، ولقى الملك ودعاه الى الاسلام ، فأعجب الملك بمبادىء الاسلام ، واعتنقه ، ولما علم أهالي تركستان باسلام ملكهم ، أسلم منهم عدد كبير ، ذكر المؤرخون : انهم كانوا مائتا ألف أسرة ، ولو أخذنا ان كل أسرة كانت تحتوي على اربعة اشخاص ، كان عدد المسلمين الذين أسلموا دفعة واحدة – عرفية – ما يقارب المليون نسمة ، وهذا عدد كبير جداً ، يُسلم بهذه السهولة .

وهذا الملك هو مؤسس أسرة (ايلكخان) الاسلامية التي حكمت في (كشغر) وما والاها .

وقد هاجر (سلجوق) مع قبيلته من بلاد تركستان الى بخارى، ودان الجميع بالاسلام، وأصبحوا من الدعاة المتحمسين له ، وهؤلاء هم أصل (الأتراك السلاجقة) الذين وحّدوا الممالك الاسلامية في (غرب آسيا) .

وقد كانت الديانات الموجودة في غالب هذه البلاد بين (وثنية) و (ثنوية) و (بوذية) و (مجوسية) و (مسيحية) وكانت الاضطرابات القبلية ، وعدم نظام الحكومات السابقة ، قد أرهق الاهلين ، كما انهم ليس لهم دين يجمعهم ، والمتدينون منهم كانوا – غالباً – لا يعرفون من الدين إلاّ ألغازاً وقصصاً وشيئاً ضئيلاً لا يملأ فراغهم العقائدي ، ولذا لما رأوا المسلمين بمبادئهم النيرّة ، وعدلهم ، أقبلوا إليهم بكل لهفة واشتياق ، وأخذوا يدخلون في دين الله افواجاً. وهكذا كانت انتصارات الاسلام الرائعة في كثير من هذه البلاد ، ولقد كان للدعاة المتحمسون ، أكبر الفضل في تفهيم الناس حقائق الاسلام ، وحثهم للدّخول في الدين .

والمغول وان اذاقوا المسلمين الأمرين، الا انهم أخيراً دخلوا في الاسلام ، وصاروا من اشد انصاره ، ففي عهد (اجتاء) أسلم حاكم بلاد الفرس الذي كان من قبل المغول وكان بوذياً في أول الأمر، واسم هذا الحاكم (كوركيز) كما في عهد (تيمورخان) كان (آنند) حفيد (قوبيلاء) مسلماً متحمساً ، وبسبب اسلامه أسلم كثير من أهل (تانجوت) وكثير من الجنود الذين كانوا تحت امرته ، ويقرر بعض المؤرخين ان (آنند) بني في (خان بالغ) المسمى فعلاً بـ (بكين) عاصمة الصين الشيوعية، أربعة مساجد ، كل مسجد يسع ربع مليون شخص ، وكانت تمتلىء في وقت الصلاة بالمصلين .

وأسلم (بركة خان) من أمراء المغول ، وجمع حول نفسه العلماء والمفسرين، وأهل الحديث ومن اليهم، ومنع المنكرات، وبالاخص تعاطي الخمر ، وكان كل فارسٍ في جيشه يحمل سجادة ، فاذا حانت الصلاة . اشتغلوا بصلاتهم، وأسلم بسبب اسلام (بركة) قبيلته المسماة بـ (الذهبية) .

وكذلك أسلم الأمير (تكودار) بعد ان كان مسيحياً ، وذلك بفضل بعض دعاة المسلمين الأتقياء ، وبعد ان اسلم أخذ يؤلف (النثر) للاسلام، بمنح العطايا الجزيلة ، والقاب الشرف والتجلة ، فدخل في الاسلام بجهوده أمة كبيرة من التتر .

وكذلك دخل (غازان) سابع (ايلخانات المغول) في الاسلام ، وكان من أعظم الأمراء شأناً ، وجعل في دين الدولة الرسمي في فارس: الاسلام ، ومن طريف الأمر: ان المسيحيين فرحوا باسلام هذا الأمير فرحاً كبيراً ، لما عهدوه في الاسلام من التسامح ، وعدم الضغط الذي كانوا يرونه قبل اسلامه ، وقد كان (غازان) قبل اسلامه (بوذياً) .

كما ان اسلام (غازان) سبب اسلام كثير من البوذيين والوثنيين والمسيحيين لما اتصف به غازان من الاهتمام بشأن الاسلام ، بعمارة المساجد ، وقبور الصالحين ، واعطاء المنح والألقاب لمن أسلم .

وكان أخو (غازان) يسمى(اولجايتو) وكان يدين بالمسيحية،

ثم وفق للاسلام بفضل بعض العلماء ، وسمي نفسه (خدابنده) اي عبدالله ، وبالغ في ترويج الاسلام ونشره .

وكذلك أسلم الأمير (تغلق تيمور) بفضل داعية مسلم اسمه (رشيد الدين) ثم اتفقا معاً : أن يعرضا الاسلام على سائر الأمراء ، وصنعا ما اتفقا عليه ، فمن كان يسلم يجازى أحسن الجزاء ، وهكذا أسلم الأمراء كلهم ابتداءاً من (تولك) وانتهاءاً بـ (جراس) ولما أسلم جراس ـ في قصة طريفة ـ أسلم في ذلك اليوم مائة وستون ألف من أتباعه .

كما ان للداعية (اسحاق ولي) أكبر الفضل في ادخال جماهير كثيرة الى الاسلام في (كاشنو) و (ياركند) و (ختان) فقد قضى اثنتي عشرة سنة يبشر بالاسلام فيما بينهم وبعد ذلك عنى بنشر الاسلام بين (الكرغين) و (القازاق) وغيرهم ، وكان من عادته أنه اذا ظفر باسلام جماعة ، هدم (هيكلهم) المعدّ لعبادة الأوثان ، ووفق أن يهدم من هياكل الطائفتين الأخيرتين ثمانية عشر هيكلاً .

وكذلك وفق (أوزبك خان) بنشر تعاليم الاسلام بين اتباعه ، والقبائل الاوزبكية الموجودة الآن في أواسط آسيا، والذين يدينون بالاسلام ، يرجع فضل اسلامهم اليه ، فقد كان هذا الملك من أشد الناس حماساً لنشر الاسلام ، وترويج تعاليمه ، وقد وضع هذا الملك خطة لنشر الاسلام في كافة بلاد روسيا ، ولكنه لم يصادفه النجاح .

وقد وفّر جماعة من تجار المسلمين الى جلب جماعة كبيرة من أهالي (البلغار) الى الأســـلام ، بعد أن كان دخل بعض أهالي البلغار في الاسلام ، في القرن الثالث الهجري ، وهؤلاء المسلمون البلغاريون حملوا مشاعل الاسلام الى بـــلاد الروس ، حيث دخل في الاسلام بواسطتهم ، جمع من أهـالي روسيا .

وكذلك كان للدعوة الاسلامية نشاط بين (تتار القرم) وكان من أساليب الدعوة، ان السادة كانوا قد جعلوا ثمن العبيد الذين يدخلون في الاسلام ، حريتهم فاذا أسلم أحد عبيدهم ، أعتقوه .

وقد سكن جماعة من (التتار) المسلمين في (لتوانيـا) وأخذوا يتزوجون بالمسيحيات ، لينجبوا منهن اولاداً مسلمين، وكان كما أرادوا ، واثر الاولاد الذين رباهم آباؤهم على الاسلام ، على امهاتهم وأقربائهم ، في الاسلام ، ولذا انتشر الاسلام بين أهالي (لتوانيا) و (بولندا) .

وكان اهالي مدينة (قزان) نشطوا في الدعوة الى الاسلام ، فكانوا يؤلفون الجماعـــات للسيح في القرى والأرياف لارشاد الناس الى الاسلام ، وحيث ان المستوى الاخلاقي في هؤلاء الدعاة كان رفيعاً جداً ، جلبوا الناس بأخلاقهم الى حظيرة الاسلام ، مثلاً في قرية (اتومقا) اسلمت احدى وتسعون

اسرة ، وفي ظرف أربع سنوات فقط أسلم من اهل القرى اكثر من خمسين الف انسان .

وهكذا تأثرت قبيلة (الفوتياك) وقبيلة (الشيويس) بالاسلام ، وكان نشاط الدعوة الى حد مهول، حتى ان الوثنيين ومن أشبههم اذا اختلطوا بالمسلمين،جذبهم المسلمون الى الاسلام، مثال ذلك : ان كثيراً من أهل البوادي كانوا يقصدون القبائل المسلمة للخدمة ، كالحياكة وما أشبه ، فاذا خالطوهم أسلموا ، فاذا تم العمل ورجعوا الى محلاتهم كانوا حاملين معهم رسالة الاسلام ، ليؤثروا بدورهم في سائر الأهلين .. وبمثل هذه المؤثرات ، أسلمت قرية (قرقول) ، وهكذا أسلم قبائل (شوفاش) الذين يربو عددهم على المليون .

وكان من نشاط المسلمين ، انهم كانوا يجمعون التبرعات ، لانعاش الفقراء الذين يدخلون في الاسلام ، وبناء المساجد وتأسيس المدارس، لتعليم الأحكام الاسلامية كما انه بلغ من نشاط الدعوة : أنهم كانوا يكترثون بالاتعاب التي كانوا يلاقونها في سبيل نشر الاسلام ، وكانوا يستعدون حتى للاستشهاد في سبيل اعلاء كلمة الله في الأرض ، ومن الأمثلة لذلك : ان جماعة من الدعاة قصدوا (سيبريا) لنشر الاسلام فيها، لكنهم استشهدوا على أيدي الوثنيين ومن اليهم ، حتى اذا دخلت سيبريا في حكم الاسلام في عهد (كوتشم خان) ارتحل أحد الدعاة الى تلك البلاد، واكتشف قبور سبعة من الشهداء حيث

بنى لهم الأضرحة ، وجعلها الأهالي موضع تجلة وتكريم.

ومن المؤسف حقاً : ان تقع هذه البلاد تحت ظل الالحاد، وتنقطع الصلة بين اولئك المسلمين وسائر مسلمي العالم ، فلا أثر ولا خبر ، وقد حدثني أحد التجار الكبار الذين كانوا يطرقون تلك البلاد في أيام قيصر ، انه دخل (موسكو) ذات يوم في غرض تجاري ، فقيل له : انه يقام في هـذه الليلة ، في المحل الفلاني مجلس عزاء الحسين عليه السلام بمناسبة ان الليلة تصادف ليلة عاشوراء ، قال :فحضرت ، فرأيت جماهير غفيرة يقيمون العزاء ، كما تقام المجالس في سائر البلاد الاسلاميـــة .. كما ان امرأة كانت فرّت بدينها عن تلك البلاد حدثتني فقالت : ان اسمي كانت (فلانة) وسمعت ذات مرة من الخطيب بركة اسم (فاطمة) لكونها اسم بضعة الرسول صلى الله عليه وآله فغيرت اسمي الى (فاطمة) .

اما (قفقاز) و (قبة) و (بادكوبة) و (تاجكستان) وغيرها ، فقد كان لدخول الاسلام فيها تاريخ طويل ، كما أنها أصبحت ذات يوم مركزاً للحضارة الاسلامية ومنطلقاً للدعاة والمبلغين ، والى هذا اليوم توجد المدرسة الدينية—باسم مدرسة بادكوبة — في النجف الاشرف ، وفي كربلاء المقدسة، يتخرج منهما كل عام عشرات من طلاب العلوم الدينية .

وكان غناء هذه المناطق بالنفط وغيره ، وجمالها وهوائها

الملائم ، سبباً لحضارة اسلامية مزدهرة، حتى زمان الملحدين، فانهم لما استولوا على هذه البلاد، قتلوا من أهل العلم والارشاد، ما يقارب العشرة آلاف ، كما في مجلة – ملي تركستان –

كما ان اهالي هذه البلاد كانوا الى قبل ثورة (اكتوبر) يحجون ويزورون المدينة والاعتاب المقدسة في العراق وايران باعداد هائلة .

وبعد الغزو الالحادي ، لم يبق من تلك الحضارة ، ولا من هذه الجموع الوافدة ، عين ولا أثر .

ومن الطبيعي : ان هذا كله لا يوجب اليأس ، فكم رأت البلاد من مثل هذه المآسي ، ثم الزبد ذهب جفاءاً ، واما ما ينفع الناس : فقد مكث في الأرض..وسيأتي يوم نسمع صوت الاسلام في تلك البلاد ، ونرى الحرية الدينية تأخذ مكان الكبت والارهاب ، وما ذلك على الله بعزيز .

الهند تخضع للاسلام

من الطبيعي أن الاسلام بما له من حقائق تضيء أرجـــاء الحياة ، وبمـا أن المسلمين – حتى في أخطر ظروفهم – كانوا يرون الخدمة الجلى للبشرية بهدايتهم للاسلام، لأنه يؤمن سعادة الدنيا والآخرة .. يمتد الى كل مكان ويتسرّب الى كثير من النفوس ، سواء كانت متدينة بدين ، أم لا .

وصحيح أن بعض الشيء يمكن ان يقـــال عن المسيحية مثلاً ، أو غيرهـــا من الأديان المنزلة ، التي حرّفت ، أو اخترعت ، لكن الفرق : ان الاسلام نور مطلق ، وتلك اذا كان فيها نور ، فهو نور ضئيل جداً ، حتى ان الناس اذا وجدوا الاسلام التفوا حوله ، وتركوا نورهم الضئيل ، لدى رؤية النورين .. ولذا نرى ان الاسلام يعلو على غـــيره اذا قورنا ، ولم يكن سدّ يمنع عن تقدم الاسلام .

وبهذه المناسبة قـال أحد مبشري المسيحيين ، موصياً أصحابه في كيفية التبشير للمسلمين : ان مثل دينهم ودينكم

مثل مصباحين ، أحدهما منير جداً ، والآخر ضئيل جداً ، فاذا أردتم التفاف الناس حولكم ، فعليكم باطفاء الاسلام ، حتى لا يجد الناس نوراً ، ويضطروا الى الالتفاف حول نوركم.. وهذا ما نشاهده في سياسة البلاد المسيحية حول بلاد الاسلام ، فقد بذلوا ما لا يطاق من الجهود ، لسلخ الاسلام عن أذهان الشباب ، حتى يسيروا بهم الى حيث شاءوا .

واليوم اذا نظرنا الى بلاد باكستان ، التي تحتوي على ما يقارب المائة مليون مسلم ، وبلاد الهند التي تحتوي على ما يقارب الستين مليوناً من المسلمين ، تذكرنا تلك الحقيقة الآنفة ، وهي : أن الاسلام بما له من حقائق وبما لحملته من الحماس ، امتد الى هذه البلاد ، واعتنق الأهالي له عن طوع ورغبة واقتناع في الغالب .

وقد كان لاعتناق مثل هذه الامة الكبيرة للاسلام ، ظروف مواتية ، وجهود مشكورة ، بذلها الامراء والدعاة المسلمون ، على طول الخط .

ولعله كان ابتداء دخول الاسلام في هذه البلاد على أيدي بعض التجار ، ثم أرسل الى بعض الامراء في زمن عبد الملك (جوادي) واتفق أن سرقت في بلاد السند ، (التي هي من باكستان اليوم) ، ولما كتب الأمير الى أمير السند يطلب منه انقاذ الجوادي من أهل مقاطعته ، لم يتلق إلا جواباً متعنتاً ،

مما أدى الى ارسال جيش بقيادة (بن يوسف الثقفي) مما كان له أثر يذكر في دخول جماعة لا بأس بها في الاسلام .

فقد شجع (الخلجيون) الناس لاعتناق الاسلام ، واذا أسلم شخص قدم الى السلطان ليكرمه ويخلع عليه أساور من ذهب ، أو قلادة ، أو ما أشبه .. وكان (فيروز شاه تغلق) يعمل عملاً مماثلا ، فقد كتب عن نفسه قائلا : (لقد شجعت رعاياي الكفار على اعتناق دين النبي صلى الله عليه وآله ، وأعلنت لهم : ان كل شخص يردد هذه العقيدة ويصبح مسلماً ، يعفى من الجزية (أو ضريبة الرأس) ولما اتصل هذا النبأ بمسامع الناس ، تقدم الهندوس ذرافات وواحداناً ، وسمح لهم بأن ينالوا شرف الاسلام، ومن ثم أخذوا يهرعون من كل حدب وصوب ، ولما أسلموا أعفوا من الجزية ، ومنحوا الهدايا ، ومظاهر التكريم .

كما ان السلطان (تيبو) تمكن من هداية جماعات كبيرة الى الاسلام، بالمنح والعطايا ، وهذا السلطان حارب (الانكليز) محاربة لا هوادة فيها ، لتحرير بلاد الهند من استعمارهم ، ولذا نسبوا اليه إكراه الناس الى الاسلام ، مع العلم ان هذه النسبة لا أصل لها ، بل الذي صنعه ، ان الثوار الذين ثاروا ضده ، وأورثوا اضطراباً في البلاد ، وقتلوا الكثير من المسلمين، خيّرهم بين الانتقام والمقابلة بالمثل ، وبين الاسلام ، فاختار الكثير منهم الاسلام ، بالاضافة الى الذين خيرهم هذا التخيير

كانوا في انحطاط اخلاقي مدهش ، فالمرأة منهم كانت تتخذ عشرة أزواج في حال واحد ، وغالب المواليد كانوا من السفاح، لتعاطيهم الزنا بكل وقاحة ، الى غيرها من المفاسد .

كما ان (اكبر شاه) أيضاً كان هو الآخر الذي استخدم سلطته في الهداية الى الاسلام ، لكن لا بالاكراه ، كما زعم بعض مؤرخي الغرب ، بل بالتخيير ، مثلاً : (بوده مل) (راجا مجهولي) في (مقاطعة جوركه يبور) اختلس اموال الخراج ، ولذا طلبه (أكبر) وخيّره بين العقاب وبين الاسلام . لكنه اختار الثاني ، لما عرف من محاسن الاسلام ، وسمى نفسه بـ (محمد سليم) ، ولما رجع الى مقر امارته ، رفضت زوجته ان تسمح له بالدخول الى قلعة أجداده ، الا إذا رجع الى دينه، لكنه اختار الاسلام على الأمارة، وبذلك حكمت الزوجة (المقاطعة) حتى كبر إبنها منه (بهواني مال) وتسلم زمام الحكم . الى أمثلة أخرى من هذا القبيل .

وكان سبب دخول الاسلام في (مليبار) ان ملك تلك البلاد صاحب جماعة من المسلمين ، الذين أرادوا زيارة (أثر قدم آدم) في (سيلان) الى بلاد الاسلام ، ليعرف عن قريب حقائق الاسلام ، ثم أسلم ، ومات ، وقبل موته كتب وصية الى اخلافه ، يوصيهم بهؤلاء المسلمين خيراً ، فلما رأى خلفه كتاب الملك اكرموا الزائرين ، ومنحوهم قطعة من الأرض في (جربخانور) فبنوا عليها المسجد ، وسافر بعضهم الى سائر

أنحاء (مليبار) ينشرون الدعوة ، ويبنون المساجد، وهكذا دخل نور الاسلام هذه المقاطعة ، بفضل الملك والدعـــاة الصامدين .

كما ان (زامورن) وكان من انصار التجـــارة الى بلاد الاسلام ، شجع دخول الناس في الاسلام وقصد من ذلك تقوية التجارة ، التي هي بدورها تقوّي مكانته في المقاطعة كما أمر صيادي السمك في بلاده ، ان يكون في كل أسرة منهم، ذكر أو اكثر ، من المسلمين ، بأن ينشؤونهم تنشئة اسلامية .

ولعل ذلك كان لما علم من أمانة المسلمين ، وانهم لا يخونون أبداً ، وفقاً لتعاليم دينهم .

ومن الطريف – بهذه المناسبة – ما ينقل : من ان أحـد تجار الروس لمـــا رأى عماله يحضرون للصلاة وقت الظهر ، حذرهم بأنهم ان تركوا العمل ظهراً ، وذهبوا الى الصلاة قطع من راتبهم الاسبوعي مقداراً ، فاستمر جماعة منهم في قطـع العمل لأجل الصلاة، وأطاع الآخرون، فلم يذهبوا الى الصلاة، وفي نهاية الاسبوع ، لما كان يوزع الأجور ، نقص من أجور الذين أطاعوه ، دون الذين استمروا في صلاتهم ، ولما اعترض عليه المطيعون ، بأن هذا العمل خلاف ما قرره ، أجاب : بأنكم خنتم دينكم في عدم اقامـــة الصلاة اول الوقت ، ومن يخون دينه أولى بأن يخون رئيسه . بخلاف الذين استمروا في

صلاتهم ، فان عدم خيانتهم لدينهم دليل على عـدم خيانتهم إياي ، ولهذا استحقوا المزيد دونكم .

وفي جنوب الهند جماعة تسمى بـ (الرفوتان) هداهم الى الاسلام جماعة من الدعـــاة ، من أنشطهم رجلاً كان يسمى (نادر شاه) حيث قضى حياته في الارشاد والتبليغ، وأعمال الخير ، وتمكن ان يحول عدداً كبيراً من الكفار الى الاسلام ، والى هذا اليوم قبره مزار يُشهد .

وكذلك في جنوب الهند ، جماعة تسمى بـ (دودي كولا) ادخلهم في الاسلام الداعية (بابا فخر الدين) وقد ذكروا في أحواله انه كان ملكاً على سيستان ، فترك الملك لأجـل بلاغ الاسلام ، لرؤيا رآها، حيث أمره الرسول صلى الله عليه وآله بذلك ، وقبره الى الآن مزار يشهد .

وكذلك تمكن من ادخال جماعـــة كبيرة في الاسلام ، والمذهب الحق ، كل من : (شاه أولياء) و (السيد حامـد حسين) و(والقاضي نور الله الشهيد) وقد كان هؤلاء العظام من اشد المتحمسين العاملين ، لأجل رفع راية الحق ، فقـــد ذكروا في أحوال (الشاه) ان الموالين لأهل البيت عليهم السلام كانوا في اشد الاضطهاد من الملك الذي كان يخالفهم في العقيدة، فاتفق ان بنت الملك الوحيدة ، مرضت مرضاً يئس الأطباء منها ، فأخـــذ الملك في الضراعة ، وأخذ يفرق الأموال في

الطوائف المختلفة حتى عبدة الأصنام . للتوسل الى مقدساتهم في شفائها ، ولم ينفع ذلك كله .

فجاء (شاه اولياء) الى الملك يقول له : أنا من موالي أهل البيت عليهم السلام وأنا وطائفتي في أشد الاضطهاد بسبب أوامرك ، فلم حرمنا عن عطائك واستشفائك لبنتك ، بينما لم يحرم منها حتى عباد الأوثان ؟ وبعد خشونة من الملك وحوار دار بينهما قرر أن يحضر (الشاه) عند البنت ويدعو ، فان استجيب له في شفائها فله ولطائفته ما يريدون . والا جازاه الملك بالقتل.. وجاء (الشاه) وأخذ يدعو بكل ضراعة ، والبنت في آخر ساعات الحياة — كما أخبر الأطباء — وفي السحر فجأة جلست البنت . وكأن ما بها من علة ابداً ، وطلبت الأكل ، وحين اخبر الملك ، أسرع نحوها ، ولما رأى ابلالها ، سألها عن السبب ؟ قالت رأيت ملك الموت ، يريد قبض روحي ، ثم التفت فاذا (بسيد) يدعو ، وأربعة عشر ، أحدهم امرأة يؤمنون بدعائه ، وذلك كان سبب شفائي .

قال الملك : وهل تعرفين (السيد) اذا رأيته ؟

قالت : نعم .

فلما رأت السيد قالت : هذا هو الذي كان يدعو .

ثم سئلوا السيد عن (الأربعة عشر) ؟ . فقال :

هم النبي ، وفاطمة ، والأئمة الاثنى عشر عليهم السلام .

فآمن الملك وحاشيته ، وانتشر المذهب الحق في ذلك البلد الى هذا اليوم ، وقبر (الشاه) مزار يقصد . ويتوسل الى الله سبحانه عنده .

ومن الاسباب التي سببت تحول الناس الى الاسلام بكثرة ، نظام الطبقات السائدة بين الهندوس مما شكل منهم خمسين مليون منبوذاً ، لا يعاشرهم الطبقات الأرقى منهم حتى معاشرة الحيوانات ، فاذا دخلوا في الاسلام أحسوا بالكرامة الانسانية ، والرفعة البشرية .

كما أن (لمدرسة الواعظين) ورابطة (منة الاسلام) الفضل في تحويل عدد كبير من الكفار الى الاسلام ، وقد عرفت هاتان المؤسستان كيف تستغل من معالم الاسلام في وسط جوٍ متأخر منحط ، تسود عليه الرذيلة ، ونظام الطبقات ، وأشد أنواع الحرمان والانهيار ، فمثلا : في (تراونكور) لا يسمح لبعض الطبقات السفلى ، أن تقرب من البرهمي بأكثر من أربع وسبعين خطوة ، كما يجب عليهم أن يصيحوا بصوت كصوت الخنزير وهم يمرّون في الطريق إيذاناً بدنوّهم .

وقد زيد عدد مسلمي (المايبيلا) الذين يقيمون على الساحل الغربي ، بحيث يظن انه لا يمر زمان إلا ويدخل الجميع في الاسلام .. واني أظن انه لو نظمت حملة تبليغية سلمية الى

مختلف نقاط الهند ، خصوصاً في القرى التي يبلـــغ عددها (نصف مليون) لكان النجاح مائـة في مائـة ، وذلك لأن معالم الاسلام من السمو والرفعة بحيث لا ينكرها الا المعاند ، ومن المعلوم ان المعاند قليل جداً .

ودخل الاســلام في جزائر (لكديف) و ملديف) في خليج (بنغالة) بواسطة بعض التجار ، ثم أسلم أول سلاطين جزائر (ملديف) وسمى نفسه بـ (احمد شنورازه) وأخـذ مهمة نشر الاسلام على عاتقه. ويعزى دخول الاسلام في (مالي) الى يوسف شمس الدين) وفي (لكديف) الى (ممبا ملايكا) حيث قبرهما الى الآن مزار يقصد .

ودخل ملك (عسيفان) وهي بلاد تقع بين (كشمير) و (اللتان) و (كابل) في الاسلام ، ثم دعـا الناس اليه ، وكان سبب اسلامه ، كما ينقله (البلاذري) انهم كانوا يعبدون الأصنام ، فمرض ابن الملك ، فدعى سدنة بيت الصنم ،وطلب منهم ان يدعوا الصنم لبرء ولده . فأخذوا في الدعاء ، لكن الولد مات ، ممـا أثار غضب الملك ، فوثب عليهم وهدم بيت الصنم ، وكسر الصنم ، وقتل السدنة ، ثم دعا قوماً من تجار المسلمين ، وسئلهم عن الاسلام فعرضوا عليه التوحيـد ومبادىء الاسلام ، فأسلم .

وهكذا كان لتجار المسلمين الفضـــل في اسلام (نفد ابن

بابينية) أحد امراء (السند) الذي أخذ على نفسه – بعد أن اسلم – مهمة نشر الدعوة بالوسائل السلمية .

وكذلك كان للدعاة المسلمين اكبر النشاط في تحويل أهالي أفغان الى الاسلام فقد كان من أساليبهم توليد الهندوكيات وتنشئة اولادهم نشئة اسلامية – ولعل التوليد كان يتم بينهم وبين الاماء الهندوكيات – كما كان من أساليبهم اشتراء عدد من الصبيان في أيام القحط – الذي كان يكسح البلاد بين حين وحين – ثم تربيتهم على الاسلام .

ويشبه هذا ما ينقل عن السيد المرتضى عليه السلام من انه كان يجري المشاهرة على طلاب العلوم الدينية ، وفي ايام القحط احتال يهودي فجاء الى السيد ليتلقى منه العلم – وقصد بذلك أمرار معاشه – لكن السيد قبله ، وأخذ يلقي عليه الدرس ويجري له المعاش ، ولما انقضى القحط ، أسلم اليهودي وحسن اسلامه ، لما عرف من محامد الاسلام .

وقد شهد النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري نشاطاً عظيماً في دخول الناس في الاسلام ، فقد أصبح عدد الذين يدخلون في الاسلام سنوياً ، يتراوح بين عشرة آلاف ، وخمسين الفاً ، ومائة الف ، وستمائة الف ، بل ربما تمكن بعض الافراد من إدخال اعداد كبيرة في الاسلام ، مثلاً ينقل : ان أحد العلماء في (بنكلور) أدخل الف شخصٍ من أهالي تلك

الضواحـــي في الاسلام ، وان (الحاج محمد) وهو يسكن (التنجاب) أدخل (مائتي الف هندوكي) في الاسلام ، الى أشباه ذلك .

وهكذا لا تجد بلداً أو مقاطعة في الهند ، الا وهي تزخر بالمساجد الاسلامية ، والمفاخر من رجـال الاسلام ، ممن لهم تاريخ مشرق ، حتى انك إذا أردت استقصاء ذلك احتجت على الأقل الى (مائة مجلد) ورجـــالٍ صامدين مدققين ، ونسأل من الله ذلك ، حتى يجمعوا هـــذا التراث الضخم كيف ، وقد قررت الحكومة الهندية ، في الآونة الأخيرة — كما في مجـــلة دعوة الحق المغربية — ان يكتب حول سيرة (غاندي) الزعيم الهندي المشهور ثلاثمائة مجلد) ؟ فهل لا يحتاج الاسلام العظيم ، في هذا القطر الوسيع الى (مائة مجلد) ؟.

كما انه كان للمآتم الحسينية وسائر الشعائر المرتبطة بهذا الامام العظيم ، التي تقام في عرض الهند وطولها ، أعظم الأثر في ادخال الناس في الاسلام ، فان المواكب والمآتم والنذورات وسائر ما يؤتى به في شهري (محرم وصفر) بل وسائر ايام السنة ، فان هذه المظاهر تجدد (الثورة) بكل مقوماتها ، باستثناء (القتل) و (أبطال المعركة الواقعيين) بل في بعض الأحيان ، يتجدد القتل ايضاً ، مما يثيره المتعصبون ضد المسلمين ، كما حدث قبل أعوام في (قضايا خيريور) الأليمة.

ومن المعلوم ان مثل هـذه المظاهر ، و (المظاهرات)

الفريدة في نوعها ، تلفت أنظار الملايين الى الامام الحسين عليه السلام ، والى جده ، والى مبادئه ، والى سائر المثل الاسلامية مما له أكبر الأثر في النفوس ، وهناك دخول الناس في الاسلام زرافات زرافات .

ومن المعروف لدى أهالي الهند ، انه لا تمر سنة ، إلا ومأتم الحسين عليه السلام يزداد في عدد المسلمين زيادة مدهشة .. ثم أليس لهذه التبليغات المنبرية ، التي تعقد في المآتم ويحضر لاستماعها ـ في بعض الأحيان ، في مجلس واحد ـ أكثر من ربع مليون شخص أكبر الأثر في هداية الناس الى الاسلام والايمان ؟.

والذي أرى : أن من الضروري ، العناية الزائدة بهذه الشعائر ، كمية ـ بالاهتمام في زيادتها ـ وكيفية ـ بجعلها أكثر تبليغية وارشادية ـ لتكون أقوى في الهداية والارشاد والاصلاح ، والدعاية الى الاسلام ، والله الموفق وهو المستعان.

الاسلام يدخل الصين

كانت الصين الوسيعة مسرحـاً للأديان ، قبل بزوغ شمس الاسلام .

فكان دين (كنفوشيوس) الذي ظهر قبل (ألف وخمس مائة سنة تقريباً) وتراوح التابعين له بين الصين وغيرهـا ، ما بين المائة مليون ، والأربـع مائة مليون .

وكان دين (لائوتسه) الذي ظهر قبل (الفي وستماية سنة تقريباً) وعدد التابعين له ما يقارب الخمسين مليوناً.

وكان دين (شينتو) الذي لم يعلم له تاريخ لانه قديم جداً ، والتابعون له يعدون ثلاثين مليوناً .

وكان دين (بوذا) الذي ظهر قبل (الفي وخمس‌مائة سنة تقريباً) وكان مصدره الهنـــد ، لكنه توسع الى الصين ، واليابان وغيرها ، وعدد التابعين له بين المائة وخمسين مليوناً والستمائة مليوناً .

لكن هـذه الأديان اختلطت بعضها ، ففي حـال واحد

يكون انسان واحد ، بوذياً وكنفوشيوسياً ، وهكذا .

وقد تبدلت هذه الاديان كلها ـ الآن ـ الى ألغازٍ وثنية، وخرافات ، لكنه لا يعلم هل كانت كذلك في الأصل أم لا ؟ بل ربما دلّت بعض الأدلة الى ان بعضها كانت تحارب الوثنية، وكانت ذات تعاليم عاليه ، ولذا احتمل بعض المحققين : ان بعض هؤلاء كانوا (انبياء الله سبحانه) بمقتضى قوله سبحانه (وان من قرية الاّ خلا فيها نذير) لكن الناس حرفوها ، كما حرفوا دين موسى وعيسى عليهما السلام .

وكيف كان الأمر ، فلقد كان للصين ، أديان قبل المسيحية، ثم دخلتها المسيحية لكن بنحو ضئيل جداً، ثم دخلها الاسلام، والاسلام وان لم يتوسع فيها على نحو توسعه في أواسط آسيا ونحوها ، لكنه كان له نصيب لا بأس به .

لقد أشار رسول الاسلام (صلى الله عليه وآله) الى (الصين) في الحديث المشهور : (اطلبوا العلم ولو في الصين) فكان هذا الحديث محفز للمسلمين الى التعرف فيما هنالك ، لكن بعد الشقة ، حالت بين المسلمين وبين التسرع في الوصول الى هناك .

فقد كان أول دخول الاسلام الى الصين بأيدي التجار المسلمين، الذين ما ذهبوا الى مكان ، إلا وكانوا يحملون التبشير الاسلامي باليمين ، والبضاعة للتجارة باليد اليسرى ، وحيث

ان الأديان الصينية جامدة الى أبعد حد ، كان نشاط الاسلام وحيويته يجلب الى نفسه الأتباع ، أينما حل وارتحل .

وقد وصف أحد المؤرخين دخول المسلمين الى الصين بهذه الصورة ، يقول : « في عهد دولة (تابخ) وفد على (كنتن) عدد كبير من الغرباء من مملكة (انّام) و (كمبوديا) و(مدينا) وبعض بلاد أخرى ، وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله ، وليس في معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة ، وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند،وفيها نشأت ديانة هؤلاء التي تختلف عن ديانة بوذا «يقصد المؤرخ بـ (مدينا) (مدينة الرسول صلى الله عليه وآله) وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ، ويعتبرون الذبائح التي يذبحونها بأيديهم طعاماً نجساً ، ويطلق عليهم الآن اسم (هوى هوى) ولما استأذنوا الامبراطور ، وحصلوا منه اذن بالاقامة في (كنتن) بنوا دوراً جميلة في طراز يختلف عن ذلك الذي كان في بلادنا ، وكانت لهم ثروة عظيمة ، ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم » .

وقد كانت لحملات (قتيبة) في النصف الثاني من القرن الاول الهجري ، على الحدود الشرقية للامبراطورية الصينية ، ورسله الى الامبراطور ، الذين تلقاهم بالتجلة والترحيب ، الأثر في دخول شعاع الاسلام الى تلك البلاد .

كما انه كان لنجدة الخليفة الاموي (هشام) التي أنجد بها

الامبراطور (هزوان تسنج) حيث طرد الامبراطور عن عرشه أحد الغاصبين ، فاستنجد بهشام ، فأنجده بارسال جيشٍ تمكن من القضـــاء على ذلك الغاصب ، وارجاع العرش الى (هزوان)، أحسن الأثر في الفات أنظار الصينيين الى الاسلام، فلقد بقي الجيش الاسلامي الفاتح في الصين، وتزوج بالصينيات، وانجب الأولاد ، وكانوا مورد دعاية الامبراطور .

وكذلك كان للفتح (المغولي) الذي ترك هجرات واسعة النطاق الى الصين ، ومن الصين الى سائر بلاد الاسلام ، الأثر الكبير في امتزاج المسلمين بالصينيين ، ثم دعوتهم الى الاسلام ، بل لقد وصل جماعة من المسلمين في الصين ، الى مناصب كبيرة في الدولة ، تمكنوا بذلك من نشر الاسلام بين الأهالي ، فمثلاً (عبد الرحمن) الذي تقلد هناك منصب (رئيس بيت المال) بنى مساجد كثيرة ، واهتم بأمر الاسلام .

وقدر بعض المسلمين المتنفذين ان يحصـــل من امبراطور الصين ، على الاعتراف بأن (الاسلام هو الدين الحق الخالص) وتمكن مسلم آخر ان يستأذن الامبراطور فبنى مساجد عظيمة في العاصمتين (سينانفر) و (نانكن) .

وهكذا لم تمض قرون ، إلا والاسلام في عرض الصين وطولها ، جماعات ومساجد ، حتى يقـــول (ابن بطوطة) الرحالة المشهور: « في كل مدينة من مدن الصين، مدينة للمسلمين

ينفردون بسكناهم ، ولهم فيها المساجد لاقامة الجماعات ، وسواها ، وهم معظمون محترمون » .

ولقد كان بناء المدن المستقلة ، كما يظهر من بعض التواريخ ، لأجل الحفاظ بينهم على شعائر الاسلام كاملة ، اذ الانتشار خصوصاً في المدن الكبار ، وبالأخص في الزمان السابق الذي كانت وسائل النقل فيه من الصعوبة بمكان ، موجب لإذابة الاسلام في ضجيج الاختلاط بمن ليس على دينهم .

وكان (شاه رخ بهادر) اغتنم قدوم سفير صيني الى قصره في سمرقند ، ليحمله دعوة امبراطور الصين الى الاسلام ، في رسالتين كتبهما اليه .

واننا لا نعلم مدى تأثير الرسالتين ، لكن لا يبعد انهما اثرتا في الامبراطور ، والذي لا شك فيه ان احد أباطرة الصين قد تحوّل الى الاسلام .. ويقرر أحد المؤرخين : ان في مدينة (كنجنفو) وحدها ، عدد كبير من المسلمين يبلغ ثلاثين الف اسرة . وإذا قدّرنا كل اسرة مكونة من اربعة اشخاص ، كان عدد المسلمين مائة وعشرين الف ، وهذا عدد كبير جداً .. كما انه يقرر انهم كانوا ينعمون بالحرية المطلقة ، وباحترام الصينيين لهم .. وان كانت في العاصمة وحدها : أربعة مساجد كبيرة ، وما يقرب من تسعين مسجداً ، ليست بذلك الكبر ، وان سائر الولايات في الأمبراطورية ايضاً كانت فيها المساجد ، مما

يتحمل نفقات كثير منها الامبراطور بالذات .

كما ان المسلمين عملوا : حتى جلبوا الى انفسهم عطف الامبراطور (كين لنج) فرفع شأن اثنين من (بيكوات الأتراك) وبنى للمسلمين قصوراً في (بكين) وشيد مسجداً فخماً لأجلهم ، وقد نقل الامبراطور الى (زنجاريا) عشرة آلاف مهاجر عسكري من جهات مختلفة من الصين، وقد دخل جميع هؤلاء في الاسلام ، بفضل جهود الدعاة الذين اهتموا لادخال هؤلاء في الاسلام .

ومما ساعد على نمو الاسلام ، بالاضافة الى الدعوة، والزواج وجلب عطف الامبراطور .. ان المسلمين كانوا يستغلون الفرص لادخال الناس في الاسلام ، بأية كيفية كانت ، مثلاً : إذا وقع قحط في البلاد ، كان المسلمون يشترون أطفال الصينيين، حيث يضطر آباءهم الى بيعهم ، لأجل الابقاء على حياتهم في ظل المسلمين ، ولأجل كسب بعض المال لأنفسهم بقاءاً على حياتهم ، ففي اثناء المجاعة التي ضربت ولاية (تشنتنج) اشترى المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الاطفال ، فاذا اشتروهم ربوهم بتربية الاسلام وكوّنوهم دعاةً مسلمين .

وشبيه بهذا ما حدث في المجاعة التي اجتاحت ولاية (كوانجتنج) فاشتروا ما يقارب العشرة آلاف طفل ايضاً من آبائهم ، الذين لم يقدروا على اعالتهم .. وقد كان عدد الذين يدخلون في الاسلام ، بهذا النحو ، يفوق الحصر والعدد

– كما ذكر ذلك أحد مسلمي الصين – .

ويقرر (مسيودلون) ان عادة شراء الأطفال أيام المجاعات منتشرة بين المسلمين ، في جميع انحاء الصين، ولم يقتصر اشتراء المسلمين الأطفال البوذيين ومن اليهم ، بل كانوا يشترون حتى أطفال المسيحيين .

وقد كان من حكمة مسلمي الصين ، انهم كانوا يعاشرون أهالي الصين معاشرة جميلة حتى يجلبوا مودة الجميع، وبالأخص الامبراطور وحاشيته ، ولذا كانوا ينعمون دائماً بنفس الحقوق التي كان ينعم بها سائر الأهالي، بل فوق كل ذلك كانوا ينالون الرتب العالية، لما عرف فيهم من الاخلاص والنزاهة،والأمانة، فكان منهم حكام الولايات ، وقوّاد الجيش ، وقضاة كبار ووزراء للدولة .. كما انهم كانوا ينالون غالباً أرقاماً قياسية في التجارة والصناعة ، وعلم الفلك والطب ، وما اليها ، فانهم حيث عرفوا وجوب نشر الاسلام ، كانوا يقرون انفسهم لكي ينالوا المراكز المرموقة ، حتى يستخدموها لجلب الناس الى الاسلام – وأعظم بهذه من خطة ناجحة – .

وقد فتح المسلمون بعض المعاهد ، لمهمة تربية المبلّغين ، فمثلاً : المعهد الاسلامي في (هوتشو) بولاية (كنسو) يعلم الطلاب العلوم الدينية ، فاذا اكتملوا عادوا الى بلادهم ، لينشروا الاسلام في البلاد .. ولم يكن المعهد في هذه الولاية فحسب ، بل كانت لهم أكثر من عشر معاهد لهذه الغاية ، في

عواصم البلاد ، وأمهات القرى .

كما ان الذين كان لهم مراكز هامة في الدولة، كانوا يستغلون نفوذهم ، لهداية من تحت أيديهم من الموظفين ، سواء كان أصحاب المناصب ضبـــاط حرب ، أولهم سائر المرافق في الخدمات الحكومية .

ولقد قويت الحركة الاسلامية في هذا القرن ، حتى ظنّ جماعة من الناس : ان الاسلام سيصبح الدين الرسمي للدولة ، إذا ماوفق المسلمون، من جلب الامبراطور الى حوزة الاسلام.

لكن الحركة التجدديـة كانت أقوى ، حيث اكتسحت الامبراطورية ، والاسلام في وقت واحد . وانا وان كانت لنـــا معلومات ضئيلة عن أحوال الاسلام في (فرموزا) في الوقت الحاضر ، بسبب بعض الدعاة الذين ذهبوا الى هناك ، ورأوا الحياة الاسلامية في تلك البلاد ، لكنا لا نعرف قليلاً أو كثيراً عن الاسلام والمسلمين في « بكين » وسائر بلادها ، الآن ، وكثيراً ما نسمع معلومات متضاربة ، فالموالون لهذه البلاد ، يقولون بالحريات الاسلامية ، وغير الموالين ، يقولون خلاف ذلك ، لكن الواضح ان النظام السائد هنـاك ، يرى ان « الدين أفيون الشعوب » بالاضافة الى ان الاذاعات الموالية وما أشبه ، قد تتسرب منها الأخبار المحزنة .

وقد اتفق ان سمعت خبرين في هذه السنة عن بعض التجار، فيها طرافة : —

فالخبر الأول : ما حدّثه أحد تجار « يابان » المسلمين ، القاطنين في « طوكيو » قال : سافرت ذات مرة الى الصين ، فلما كنت في محطة القطار ، التقيت بأحد موظفي القطار ، وبعد التعارف تبين انه مسلم شيعي ، فأصرّ عليّ ان أبقى هناك للغذاء ، وأجبته ، وحدّثني في بيته ، انه يسكن هناك منذ زمن بعيد ، وأنه يعرف اللغة الفارسية ، ثم استدعاني أن أقرأ له من مقتل الامام الحسين عليه السلام ، بعد أن عرف أنّ لي معرفة ضئيلة بهذا الشأن ، قال : ولما قرأت شيئاً من المقتل ، بكى هو وعائلته بكاءاً مراً ، لبعد عهدهم بمثل هذا الشأن .. ثم ذكر الموظف، ان في بلاده بيوت مسلمة مبعثرة، انقطعت الصلة بينهم وبين سائر المسلمين كما نضبت عنهم عيون الاسلام الصافية .

والخبر الثاني : ما حدّثه أحد تجار « دُبي » من بلاد « الخليج » قال : كنت ذهبت الى « بكين » لمهمة تجارية ، فسمعت هناك في يوم عاشوراء، مقتل الامام الحسين عليه السلام، على المسجّل وكان من القاء الخطيب الكعبي ، الكربلائي.

وكيفما كان الخبران من الصحة ، فانه لا شك في بقايا الاسلام هناك ، ومن الضروري على الحكومات الاسلامية الصديقة للصين ، أن تهتمّ بإيجاد الصلة بينها وبين مسلمي تلك البلاد ، ابقاءاً على الاسلام والمسلمين ، والله المستعان .

الفهرس

الموضوع	صفحة
المقدمة	٥
بدء الاسلام	٩
المسيحيون في آسيا يخضعون للاسلام	١٥
المسيحيون في افريقيا يخضعون للاسلام (مصر)	٢٥
المسيحيون في اسبانيا (اندلس) يخضعون للاسلام	٣٥
توسع الاسلام في أوروبا في عهد آل عثمان	٤٢
خضوع فارس وآسيا الوسطى وما اليها للاسلام	٥٦
الهند تخضع للإسلام	٧٠
الاسلام يدخل الصين	٨٢

مطابع
دار الصادق

اقرأ كتاب

فضائل آل الرسول

مختارات من

الصواعق المحرقة لابن حجر

انتخاب

آية الله المجاهد الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازي دام ظله

من

منشورات هيئة شباب التبليغ - كربلاء المقدسة

العراق

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074334663
(NEC)
BP170
.3
.S557
1969